في رحاب السكينة

جميع حقوق الطبع محفوظة

الناشر : المكتب المصرى الحديث

البريد الإلكتروني : almaktabalmasry@hotmail.com

القـــاهـــرة : ٢ شارع شريف عمارة اللواء ت : ٣٩٣٤١٢٧

الأسكندريـــة : ٧ شـــارع نوبـــار المنشيـــة ت : ٤٨٤٦٦٠٢

المطابـــــع : طريق مصر اسكندرية الزراعى ك ١٠ ت : ٧٤ / ٤٤٤١٠٧٠

عبد الحميد كشك

في رحاب السكينة

الكتب المصري الحديث

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة

الحمد لله: الذى أنار الوجود ببعثه شمس الهدايـــة الربانيـــة، سيدنا محمدﷺ، وأشهد أن لا إله إلا الله، نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً رسول الله، بلغ الرســالة وما هو على الغيب بضنين.

أما بعد..

فهذا كتاب اشتمل على دروس، كنت قد ألقيتها فى دروس مـا بين المغرب والعشاء فى بيـــت الله المبـــارك، حرصـــت كـــل الحرص على أن أسجلها بقلمى، وكل ما صنعته أننى أخرجتـــها من صدرى لأكتبها فى هذه الأوراق سائلاً الله تعالى أن يجعلـــها خالصة لوجهه، فما كان لله دام واتصل، ومـــا كـــان لغـــير الله انقطع وانفصل، وإن هذه الدروس كما اعتقد فيها غـــذاء للذيـــن شرفهم الله بتبليغ رسالته، ورفـــع رايـــة الإســـلام، فعليـــهم أن يقرءوها بقلوب يملأها الحب ويغمرها الإخلاص، حتى تـــؤدى ثمرتها المرجوة منها، وتكون كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعـها فى السماء، تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها، وصلـــى الله وســـلم على طب القلوب ودوائها، وعافيـــة الأبـــدان وشـــفائها ونـــور الأبصار وضيائها، فاللهم لاتحرمنا أجره ولا تفتنا بعده، واغفـــر اللهم لنا ولوالدينا ومشايخنا وأمواتنا وأموات المسلمين أجمعيـــن، إنك نعم المولى ونعم النصير.

المؤلف

عبد الحميد كشك

يا ذاهبين إلى بيت الله الحرام

(الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ ولا فُسُوقَ ولا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ومَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى واتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ).

فى ظلال هذه الآية أقدم للقارىء الكريم سلسلة من الأحاديث التى تتعلق بأحكام الحج والعمرة، حتى يذهب حجاج بيت الله لأداء النسك وهم على علم ومعرفة بما يفعلون. كم يؤسفنى أن أرى كثيرا من الناس يذهبون لأداء المناسك، وهم لا يعلمون أحكامها لذا آثرت أن أبادر بتقديم هذه الأحكام عندما طالعنا هلال شوال أى أول شهر من أشهر الحج وذلك بما تيسر من التقدير، وتقدر من التيسير ولا تعجبن يا أخى إذا ما قلنا أن هناك كثيرا لا يحيطون بمعرفة المناسك، فما أنا وانت بجانب الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان، الذى قال عنه العلماء أنه انفرد بثلاثة أرباع العلم، وشارك العلماء فى الربع الباقى ومع ذلك حدث له فى أداء المناسك ما يلى:

خمسة أبواب من المناسك: قال وكيع قال لى أبو حنيفة أخطأت فى خمسة أبواب من المناسك فعلمنيها حجام وذلك أنى حين أردت أن أحلق رأسى وقفت على حجام فقلت له بكم تحلق رأسى؟ فقال: أعراقى أنت؟ قلت نعم قال: النسك لا يشارط

عليه، اجلس فجلست منحرفا عن القبلة فقال لى حـرك وجـهك إلى القبلة، وأردت أن أحلق رأسى من الجانب الأيسر فقـال أدر الشق الأيمن من راسك فادرته وجعل يحلق وأنا سـاكت فقـال لى: كبر فجعلت أكبر حتى قمت لأذهب. فقال لى أيـن تريـد؟ فقلت رحلى قال صل ركعتين ثم امض. فقلـت مـا ينبغـى ان يكون ما رأيت من عقل هذا الحجام فقلت له: من أين لـك مـا أمرتنى به قال رأيت عطاء بن أبى رباح يفعـل هـذا. ذكـره المحب الطبرى.

أرأيت يا أخى إلى تواضع العلماء، بل إلـى تواضـع هـذا العملاق الإسلامى الشامخ، أبى حنيفة إمام العلم والمعرفة وبيـن يدى حديثـنا عن الحج نقرر هذه الحقيقة، وهـى أن المسـلمين فى شتى بقاع الأرض فى مسيس الحاجة إلى معرفـة الحكمـة الإجتماعية من أداء الحج، لاسيما وقد أصبح المسلمون كـالغنم الشريدة فى الليلة الشاتية من أرخص الدماء، هانوا على أنفسـهم فهانوا على الناس ونظرة واحدة تكفى دليلا علـى صـدق مـا قررنا، دماء تنزف على أرض لبنان بغير حساب، وأخرى بيـن العراق وإيران وثالثة على أرض أفغانستان ورابعة فى أريتريـا، والمقام لا تشرحه العبارة فإن ما لا يذكر أكثر بكثير مما ذكـر. تعال يا أخى لتقف على حقيقـة الحكمـة الإلهيـة مـن دعـوة المسلمين إلى أداء الحج. فالحج هـو الـذى يوحـد الشـعوب الإسلامية. (خريطة العالم الإسلامى) أخى هل أنت قريب عـهد بالاطلاع على خريطة العالم الإسلامى، وعلـى موقعـها مـن الخريطة الجامعة إن لم تكن قريب العهد بها فإننا نعيدهـا إلـى ذاكرتك، ونقرب لوحتها إلى خيالك، حتـى كـأنك تراهـا رأى العين، جاوز ببصرك منطقة الثلوج المتجمدة فى شمال القـارات

الثلاث جاوز ببصرك من الناحية الأخرى، منطقة الثلوج المتجمدة فى جنوبيها وتخط كذلك المناطق المتاخمة لهاتين المنطقتين أو القريبة منهما فإذا جاوزت هذين الطرفين فى أعلى الخريطة الجامعة وأسفلها، فأقبل على الرقعة المتوسطة بينهما مبتدئا من أقصاها فى المغرب على شاطىء المحيط الأطلسى متجها نحو المشرق، وانظر ما ترى. إنك سترى رقعة فسيحة الأرجاء متلاحمة الأجزاء تصطبغ بلون واحد، وترتسم أمامك فى صورة طريفة تستوقف النظر وتستأثر بالانتباه إنها صورة جمل ضخم، قد برك على الأرض بمؤخرته ولكنه أخذ يهم بالنهوض، فنصب ساقيه الأماميتين ورفع راسه ومد عنقه وقد سحب إلى الأمام من مشفره بحبل، وتدلى من عنقه حبل ثان واجتذب إلى الوراء من منكبه بحبل ثالث، كأنه المقود فى يد الراكب، أما مبرك الجمل فهو الجزء الأعظم من القارة الأفريقية، أعنى كتلتها العظمى المحصورة بين المحيط والبحر الأبيض والبحر الأحمر، وأما ساقاه الأماميتان فهما الصومال وأوغنده، وأما صدره فهو جزيرة العرب وما يليها من الشمال وأما عنقه ورأسه الممتدان فى قلب القارة الآسيوية، فهى بلاد إيران وأفغانستان وباكستان وما فوقهن، وأما الحبلان الممدودان من شفره ومن عنقه، فهما سلسلتان من الأقاليم الآسيوية، تمتد إحداهما إلى أقصى الشرق على المحيط الهادى، أما الجزر اليابانية وتمتد الأخرى إلى الجنوب حتى تعبر القارة الآسيوية عند ملتقى المحيطين الهادى والهندى أماما يجذبه من منكبه إلى الوراء فهو سلسلة من الأقاليم الأوروبية (موطن الشعوب الآسيوية) تبتدىء من الأقطار التركية وتسير فى اتجاه شمالى غربى حتى تصل إلى قرب بحر البلطيق. دع عنك الآن هذه

التفصيلات الجزئية، وألق على الخريطة نظرة عامة جامعة، أرأيت الكتلة العظيمة المعترضة فى صلتها من الغرب إلى الشرق وسطاً فى موقعها بين الشمال والجنوب وسطاً فى جوها غالباً بين البرد القارس والحر اللافح، فى هذه الرقعة الوسط، وفى هذا الجو الوسط تستوطن الشعوب الإسلامية التى جعلها الله أمة وسطاً: فى عقيدتها متجافية عن طرفى الخرافة والجحود وسطاً فى شريعتها، نائية عن طرفى الواقعية الجامدة القلب والمثالية الذاهلة العقل، وسطاً فى مطامحها بعيدة عن طرفى القناعة الذليلة والحرص الجشع، وسطاً فى موقعها بين المعسكرات المتنافرة المتناحرة وسيط سلام بينهما، وداعية أمن وطمأنينة للإنسانية كلها. هذه الأمة كما جعل الله لها من وضعها الجغرافى وحدة طبيعية جامعة جعل لها من عقيدتها وشريعتها وحدة روحية جامعة، وحدتين لو أثمرت كل منهما ثمرتها فى مجالها، لكان من شأنهما تحقيق السعادة الكاملة للمجتمع الإسلامى، كان من شأن الوحدة الجغرافية أن تمحو من بين أقطار الإسلام تلك الحواجز الإقليمية فى شئون الإقتصاد والإنتاج، وأن يتيسر توزيع ثروتها المادية بينها توزيعاً ينشر فيها الرغد والرخاء، ويحقق لها الإكتفاء الذاتى والاستغناء عما سواها وكان من شان الوحدة الروحية أن تتغلب على تلك الفوارق والسطحية بين شعوب الإسلام فى ألسنتها وألوانها وفى مذاهبها وعاداتها وإن توحد أو تجانس بين مناهجها التثقيفية، ومبادئها التشريعية وإن توجه رؤوسها المفكرة إلى تبادل نتاجها العلمى والأدبى، ورؤوسها المدبرة إلى تنسيق خططها السياسية والإجتماعية، وإن توجه جيوشها إلى التكتل فى الدفاع عن كل

شبر من أرضها فكلما اشتكى من جسم الإسلام عضو تداعت له سائر الأعضاء بالحماية والرعاية.

لماذا تخلفنا؟ نعم لقد كان شأن هذه الوحدة المزدوجة، أن تجعل الأمم الإسلامية من أرغد الأمم عيشاً واعظمها قوة واتمها عزة فياليت شعرى ما الذى قعد بها عن بلوغ هذه الغاية العليا بعد ان وضعت المقادير فى يدها مفاتيحها المادية، وبعد ان وضع الإسلام فى يدها مفاتيحها الروحية. لقد أبطل الإسلام كل اعتذار ودحض كل حجة يحتج بها قصار النظر، فلم يكتف الإسلام بتقرير هذه الحقائق النظرية، ولكنه وضع إلى جانبها نظاماً دقيقاً إلزامياً وهياً لتحقيقها فرصة عملية سنوية يجمع بها العالم الإسلامى مركزاً فى بقعة، أتدرى ما هذه البقعة؟ إنها المحور الذى تلتف حوله اقطار الإسلام على بعد متناسب من كل جانب. إنها القطب المغناطيسى الروحى الذى تنجذب إليه أفئدة المؤمنين، من كل فج عميق إنها الكعبة. البيت الحرام ومكة البلد الحرام، ومنى معسكر الحرام وعرفة عتبة باب الحرام ذلكم مهد الإسلام فى طفولته ومبعث نشاطه فى فتوته، جعل الله الورود إلى هذا المنهل الأول فريضة حتما على كل مسلم يستطيع إليه سبيلاً ولو مرة فى حياته، فليس لأحد منهم إذن أن ينطوى على نفسه فى قطره وإقليمه، وان يقول انى لم أر فى حياتى مشرقياً ولا مغربياً أنه يجب عليه ديناً أن يرحل ليرى ويسمع وليندمج فى هذه الكتلة الإسلامية الكبرى، بل إننا لو فرضنا أن كل فرد أدى هذه الرحلة المفروضة فإنه لا يباح لجماعة المسلمين أن يقطعوا هذه الشعيرة الموسمية، ولا مناص من تتجمع الوفود الإسلامية هنالك فى كل عام، فى وقت واحد فى صعيد واحد بل فى زى واحد وأن ينشدوا جميعاً نشيداً

روحياً واحداً، ترددده معهم الجبال والأكمات فتتجاوب أصـــداؤه في قلوبهم، وتنصهر نفوسهم حتى تعود سبيكة واحدة.

لبيك اللهم لبيك

لما قال الله تعالى لإبراهيم (وأذن في الناس بالحج) قال إبراهيم يارب وما يبلغ صوتى. قال الله تعالى له: يا إبراهيم عليك الأذان وعلينا الإبلاغ فنادى إبراهيم من فوق الجبل قائلا: يا ايها الناس إن ربكم بنى بيتا فحجوه فأجابته الأرواح فى عالم الغيب آمين.. لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك. سبحانك اللهم يامن سبحه الطير فى وكره، ومجده الوحش فى قفره، ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره، سبح له كل سابح فى الماء ومحلق فى الهواء ومستقر فى الأحشاء وسارب فى الخضراء وساكن فى الصخرة الصماء (وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا).

لما كان الحج انتقالا من مكان إلى آخر، وسفرا من بعيد البلاد إلى بلد الله الحرام، فقد راينا أن نذكر إذكار السفر التى كان يرددها رسول اللهﷺ حتى يكون المسافرون على علم بها. جاء عن رسول اللهﷺ فى السفر أنه قال: (سافروا تصحوا واغزوا تستغنوا) رواه أحمد وصححه المناوى، فانظر معى إلى هذا التقرير الطبى الذى سبق اقوال كل طبيب، فى تجديد الهواء للمرضى المصابين بامراض عضوية او نفسية، ما الذى علم

محمدا أن السفر صحة للاجسام، إنه الله الذى أنزل عليه قولـــه: (وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضـــل الله عليك عظيما) سفر فى طاعة الله: ولكـــن أى ســـفر يقصـــده الرسول..؟ إلى الشواطىء حيث الأجســـام العاريـــة والكئـــوس المترعة لا بل سفر مخصوص فى طاعة الله فقد قال ﷺ (ما مـن خارج يخرج من بيته إلا ببابه رايتان: راية بيد ملك وراية بيـــد شيطان فإن خرج لما يحب الله عز وجل اتبعه الملك برايته فلـــم يزل تحت راية الملك حتى يرجع إلى بيتـــه، وإن خـــرج لمـــا يسخط الله اتبعه الشيطان برايته فلم يزل تحت رايـــة الشـــيطان حتى يرجع إلى بيته).

(رواه أحمد والطبرانى وسنده جيد)

استخارة الله تعالى: ولما كان السفر مـــن الامـــور المباحـــة شرعا فقد قرر العلماء انه ينبغى للمسافر أن يستشير أهل الخـــير والصلاح فى سفره قبل خروجه قال تعالى(وشاورهم في الأمـــر) وقال تعالى فى وصف المؤمنين(وأمرهم شورى بينهم).

وقال قتادة (ما شاور قوم يبتغون وجه الله إلا هدوا إلى أرشد أمرهم).

وعلى المسافر أن يستخير الله تعالى فعن أحمد عن سعد بـــن ابى وقاص رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال (من سعادة ابـــن آدم استخارة الله ومن سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله ومن شـقوة ابن آدم تركه استخارة الله ومن شقوة ابن آدم سخطه بما قضـــى الله).

قال ابن تيمية ماندم من استخار الخالق وشاور المخلوقين.

وصفة الاستخارة: ووصفة الإستخارة أن تصلى ركعتين من غير الفريضة ولو كانتا من السنن الراتبة أو تحية المسجد فى أى وقت من الليل أو النهار، يقرأ فيهما بما شاء بعد الفاتحة، ثم يحمد الله ويصلى على نبيه ﷺ ثم يدعو بالدعاء الذى رواه البخارى من حديث جابر رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الإستخارة فى الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن يقول: (إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل: اللهم إنى استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب. اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى -أو قال عاجل أمرى وآجله- فاقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى أو قال -عاجل أمرى وآجله- فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدر لى الخير حيث كان ثم ارضنى به) قال: ويسمى حاجته أى يسمى حاجته عند ترك قوله: (اللهم إن كان هذا الأمر) ولم يصح فى القراءة فيها شىء مخصوص كما لم يصح شىء فى استحباب تكرارها قال الغنوى ينبغى أن يفعل بعد الإستخارة ما ينشرح له، فلا ينبغى أن يعتمد على انشراح كان فيه هوى قبل الإستخارة بل ينبغى للمستخير ترك اختياره رأسا، وإلا فلا يكون مستخيرا لله، بل يكون غير صادق فى طلب الخيرة، وفى التبرى من العلم والقدرة وإثباتهما لله تعالى، فإذا صدق فى ذلك تبرأ من الحول والقوة ومن اختياره لنفسه.

ماذا تصنع قبل السفر؟: إذا علمت هذا واستخرت الله في السفر فماذا تصنع قبل رحيلك من بيتك وما أفضل شيء تتركه لأهلك قبل سفرك؟

عن المطعم بن المقدام رضى الله عنه أن رسول اللهﷺ قال (ماخلف أحد عند أهله أفضل من ركعتين يركعهما عندهم حين يريد سفرا) رواه الطبرانى وابن عساكر. وعليك أيها المسلم أن تختار فى أسفارك الرفقة الصالحة فالجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق. خير الأصحاب من إذا ذكرت الله أعانك وإذا نسيت ذكرك. وشر الأصحاب من إذا ذكرت الله لايعينك وإذا نسيت لايذكرك، فلا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقى. روى أحمد عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ نهى عن الوحدة: أن يبيت الرجل وحده أو يسافر وحده. عن النبى ﷺ أنه قال: (الراكب شيطان والراكبان شيطانان والثلاثة ركب).

آداب توديع الأهل: كيف تودع أهلك؟ كان للنبى ﷺ آداب فى توديع الأهل، ينبغى لكل مسلم أن يستمسك بها. روى ابن السنى وأحمد عن أبى هريرة أن الرسول ﷺ قال: (من أراد أن يسافر فليقل لمن يخلف استودعكم الله الذى لا تضيع ودائعه). وفائدة هذا الدعاء أن الله تعالى إذا استودع شيئا حفظه، ومن السنة أن يدعو الأهل والأصحاب والمودعين للمسافر بهذا الدعاء المأثور قال سالم. (كان ابن عمر رضى الله عنهما يقول للرجل إذا أراد سفرا: أدن منى أودعك كما كان رسول اللهﷺ يودعنا فيقول: (استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك). وفى رواية أن النبىﷺ كان إذا ودع رجلا أخذ بيده فلا يدعهما حتى يكون الرجل هو الذى يدع يد الرسول ﷺ.

دعاء الأهل والأحباب: وعن أنس قال: جاء رجل إلى النبيﷺ فقال: يا رسول الله أريد سفرا فزودنى. فقال زودك الله التقوى. قال الرجل زدنى قال: وغفر ذنبك. قال زدنى. قال: ويسر لك الخير حيثما كنت. قال الترمذى حديث حسن. واعلم يا أخى أن دعاء الأهل والأصحاب والمودعين عظيم الأثر عند الله، فقد روى عن أبى هريرة أن رسول اللهﷺ قال: (إذا أراد أحدكم سفرا فليودع إخوانه فإن الله تعالى جاعل فى دعائهم خيرا) فاللهم إنا نسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنا إليك غير فاتنين ولا مفتونين.

قبول دعاء المسافر: ومن آدابهﷺ فى شأن السفر أنه كان يوصى المسافر بما يرفع مكانته عند الله. فعن أبى هريرة أن رجلا قال يا رسول الله إنى أريد أن أسافر فأوصنى قال عليك بتقوى الله عز وجل والتكبير على كل شرف.

فلما ولى الرجل قال: اللهم اطو له البعد وهون عليه السفر) وكما أن دعاء المودعين له مكانته للمسافر فإنه ينبغى أيضا أن يطلب المودع من المسافر الدعاء له فإن لدعاء المسافر مكانته من القبول عند الله وإليك هذا المشهد المهيب الجليل بين عمر ورسول اللهﷺ قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه استأذنت النبيﷺ فى العمرة فأذن لى وقال: (لاتنسنا يا أخى من دعائك) فقال: كلمة مايسرنى أن لى بها الدنيا.

تواضع نبى الرحمة: فانظر إلى تواضع صاحب الرسالة العصماء لقد كان حقا نبى الرحمة ومبعوث العناية الإلهية وشمس الهداية الربانية بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة

ومحا الظلمة وكشف الغمة وجاهد فى الله حق جهاده حتى أتاه اليقين يقول لعمر لاتنسنا يا أخى من دعائك وهو صاحب الدعوة المستجابة. جاءه أعرابى فسأله يا رسول أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ وقبل أن يجيب الصادق المعصوم كان سفير الأنبياء وكبير أمناء وحى السماء جبريل يجوب الآفاق ويطوى بأجنحته السبع الطباق بهذه الآية الكريم: (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون).

ما أجدر هذه الأمة أن تكثر من الدعاء وما أمس حاجتها إلى فعل الخيرات وما أعظم احتياجها إلى توقيع معاهدة صلح مع الله بل ما أحراها أن تطبق نصوص هذه المعاهدة التى ذكرها الله تعالى فى قوله (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز* الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور).

ما أخلق هذه الأمة! وأنها لخليقة بأن تكثر من الإستغفار حتى تطفىء به جحيم الذنوب التى أحاطت بأجوائها من أرضها إلى سمائها فأصابها ما أصابها كما صور ذلك الصادق الأمين فى قوله (إذا أراد الله بقوم قحطا نادى مناد من قبل الله يابركة ارتفعى يا أمعاء اتسعى ياعين لاتشبعى) (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) إن طريقنا هو قوله تعالى (فقلت

استغفروا ربكم إنه كان غفارا* يرسل السماء عليكم مدرارا* ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا).

هدى الصادق المعصوم فى الأسفار

اعلم أيها المسلم الكريم أن للأسفار أذكارا وأدعية عليك أن تلتزم بها حتى يطوى الله لك البعد ويهون عليك السفر، وقد علمنا رسول اللهﷺ هذه الأذكار وتلك الأدعية، حتى نكون على صلة بمولانا تبارك وتعالى

قال أحد الصالحين لمريديه إذا ذكر الصالحون نزلت الرحمة. فقال له أحدهم فما بالنا يا سيدى إذا ذكر الله جل جلاله. فأطرق الشيخ مليا ثم رفع رأسه وقال يا بنى إذا ذكو الله نزلت الطمأنينة أو ما قرأت قوله تعالى (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) اسأل الله أن يرزقنا علما نافعا، ورزقا واسعا وشفاء من كل داء. وإليك يا أخى بيانا شافيا بأذكار الرسول فى الأسفار.

ماذا تقول يا أخى إذا خرجت من بيتك؟ بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم إنى أعوذ بك أن اضل أو أضل أو أذل أو أذل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل على).

وعليك أن تختار من هذه الأدعية التى نوردها ما شئت.

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كان النبىﷺ إذا أراد أن يخرج إلى سفر قال (اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل: اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر والكآبة فى

المنقلب: اللهم اطو لنا الأرض وهون علينا السفر) وإذا أراد الرجوع قال: (آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون) وإذا دخل على أهله قال: (توبا لربنا أوبا لايغادر علينا حوبا)

(رواه أحمد والطبرانى والبزار بسند رجاله رجال الصحيح)

التعوذ من الفساد بعد الصلاح: وعن عبد الله بن سرجس قال: كان النبىﷺ إذا خرج فى سفر قال (اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب والحور بعد الكور ودعوة المظلوم وسوء المنظر فى المال والأهل) ومعنى (والحور بعد الكور) أى أعوذبك من الفساد بعد الصلاح. وإذا رجع قال مثلها إلا أنه يقولﷺ: (وسوء المنظر فى الأهل والمال) فيبدأ بالأهل.

(رواه أحمد ومسلم)

وما تقول أيها المسلم إذا أردت الركوب للسفر؟ عن على بن ربيعة قال رأيت عليا رضى الله عنه أتى بدابة ليركبها فلما وضع رجله فى الركاب قال بسم الله فلما استوى عليها قال: الحمد لله (سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون) ثم حمد الله ثلاثا وكبر ثلاثا ثم قال: سبحانك لا إله إلا أنت قد ظلمت نفسى فاغفر لى إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ثم ضحك فقلت: مم ضحكت يا أمير المؤمنين؟ قال: رأيت رسول اللهﷺ فعل مثل ما فعلت ثم ضحك فقلت مم ضحكت يا رسول الله؟ قال (يعجب الرب من عبده إذا قال رب اغفر لى ويقول: علم عبدى أنه لا يغفر الذنوب غيرى. (رواه أحمد وابن حبان والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم).

التكبير ثلاثا: وعن الأزدى أن ابن عمر رضى الله عنهما علمه: أن رسول اللهﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجا إلى سفر كبر ثلاثا ثم قال: سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون). اللهم إنا نسألك فى سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى اللهم هون علينا سفرنا هذا واطو علينا بعده، اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل. اللهم إنى أعوذبك من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب وسوء المنظر فى الأهل والمال (وإذا رجع قالهن وزاد فيهن (آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون). (أخرجه أحمد ومسلم)

الدعاء عند الليل: ماذا تقول أيها المسافر إذا أدركك الليل؟

عن ابن عمر رضى الله عنهما كان رسول اللهﷺ إذا غزا أو سافر فأدركه الليل قال: (يا أرض ربى وربك الله أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما خلق فيك، وشر مادب عليك، وأعوذ بالله من شر كل أسد واسود وحية وعقرب ومن شر ساكن البلد ومن شر والد وما ولد). (رواه أحمد وابو داود)

ماذا تقول أيها المسافر إذا نزلت منزلا؟ عن خولة بنت حكيم السلمية أن النبىﷺ قال: (من نزل منزلا ثم قال أعوذ بكلمات الله التامات كلها من شرما خلق لم يضره شىء حتى يرتحل من منزله ذلك). (رواه الجماعة إلا البخارى وأبو داود)

ماذا تقول أيها المسافر إذا أشرفت على قرية أو مكان أو أردت أن تدخله؟ ماذا يقال عند دخول القرية. عن عطاء بن أبى مروان عن أبيه أن كعبا حلف له بالذى فلق البحر لموسى: أن صهيبا حدثه أن النبىﷺ لم ير قرية يريد دخولها إلا قال حين يراها، اللهم رب السماوات السبع وما أضللن، ورب

الرياح وما ذرين، أسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها. رواه النسائى وابن حبان والحاكم، وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال كنا نسافر مع رسول الله ﷺ فإذا رأى قرية يريد أن يدخلها قال: اللهم بارك لنا فيها (ثلاث مرات) اللهم ارزقنا جناها وحببنا إلى أهلها وحبب صالحى أهلها إلينا). (رواه الطبرانى فى الأوسط بسند جيد)

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أشرف على أرض يريد دخولها قال: (اللهم إنى أسألك من خير هذه وخير ماجمعت فيها، وأعوذ بك من شرها وشرما جمعت فيها، اللهم ارزقنا جناها وأعذنا من وباها وحببنا إلى أهلها وحبب صالحى أهلها إلينا). (رواه ابن السنى)

الدعاء وقت السحر: ماذا تقول أيها المسافر وقت السحر؟ عن أبى هريرة أن النبى ﷺ إذا كان فى سفر وأسحر يقول: (سمع سامع بحمد الله وحسن بلائه علينا ربنا صاحبنا وأفضل علينا عائذا بالله من النار). (رواه مسلم)

وإذا علوت شرفا أو هبطت واديا أو رجعت فاعمل بما رواه البخارى عن جابر رضى الله عنه قال: كنا إذا صعدنا كبرنا وإذا نزلنا سبحنا.

واعمل بما رواه ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ كان إذا قفل من الحج أو العمرة (ولا أعلمه إلا قال: الغزو) كلما أوفى على ثنية أو فدفد كبر ثلاثا ثم قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير. آيبون

تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده).

الدعاء عند ركوب السفينة: ماذا تقول أيها المسافر إذا ركبت سفينة؟ روى ابن السنى عن الحسين بن على رضى الله عنهما قال: قال رسول اللهﷺ (أمان أمتى من الغرق إذا ركبوا أن يقولوا (بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم) (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) واعلم أنه لا يجوز ركوب البحر عند اضطرابه لحديث أبى عمران الجونى قال حدثنى بعض أصحاب النبىﷺ قال: من بات فوق بيت ليس له أجار أى سور فوقع فمات فقد برئت منه الذمة ومن ركب البحر عند ارتجاجه فمات فقد برئت منه الذمة) رواه أحمد بسند صحيح. أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يوفقنا للعمل بسنة رسول اللهﷺ.

من هنا إلى هناك

اسارع فأقدم هذا الباب الذى نبين فيه كيفية أداء الحج حتى لا يفوت أحد الذاهبين إلى بيت الله الحرام أى نسك، وحتى يؤدى أعمال الحج على وجهها الأكمل، وسوف يعرف المسلم ماذا يفعل من حيث يبدأ الرحيل من هنا حتى يذهب إلى أماكن المناسك هناك، فمن هنا إلى هناك يدور حديثنا اعلم يا أخى وفقنى الله وإياك، أنه يستحب للحاج إذا قارب الميقات إن كان بطريق البحر أو كان فى بيته وسافر بطريق الجو يستحب له أن يأخذ من شاربه ويقص شعره وأظافره، ويغتسل أو يتوضأ ويتطيب ويلبس لباس الإحرام.

فإذا بلغ الميقات (من المعلوم أن الميقات يختلف باختلاف البلاد فيجب مراعاة ذلك برا وبحر وجوا) فإذا بلغ الميقات صلى ركعتين وأحرم أى نوى الحج إن كان مفردا أو العمرة إن كان متمتعا، أو هما معا إن كان قارنا.

وهذا الإحرام ركن لا يصح النسك إلا به، أما تعيين أحد هذه الأشياء فليس بشرط ولو أطلق النية صح إحرامه، وله أن يأتى بأحد هذه الأنواع وبمجرد الإحرام تشرع له التلبية كلما علا مكانا أو هبط واديا أو لقى ركبا أو أحدا، وفى وقت السحر وبعد كل صلاة، ويلبى بصوت مرتفع لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك. ومعنى لبيك

أى أجيبك يارب مسرعا ويحرم على المحرم أشياء. أن يتجنب الجماع ودواعيه، وهو ما قال الله تعالى فيه (فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج) ومخاصمة الرفاق وغيرهما والجدل فيما لا فائدة فيه لأن الحج مدرسة تعود النفس الصبر والاحتمال بحيث يضع الإنسان أعصابه فى ثلاجة فلا يثور ولا يفور وهذا معنى قوله تعالى (ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب).

كذلك لا يحل للمحرم أن يتزوج أو يزوج غيره ولا يلبس المخيط والمحيط والحذاء الذى يستر ما فوق الكعبين (والمقصود بالمخيط هو الثوب الذى دخله الخيط فخيط به، والمحيط هو ما يحيط بالرأس ويغطيه حتى يكون الحجاج فى ثوب واحد متجردين من زينة الدنيا فلا غنى ولا فقير ولا عظيم ولا حقير، ولا وزير ولا خفير ولا عبد ولا أمير، كأنهم نشروا من القبور فى صعيد القيامة فإذا هم قيام ينظرون. كذلك لا يحل للمحرم أن يمس طيبا أويحلق شعرا أويقص ظفرا، أويتعرض لصيد البر ولا لشجر الحرم وحشيشه، ثم يتجه إلى الكعبة فيدخلها من باب السلام داعيا الله بما شاء وملتزما الخشوع والتواضع والتلبية، ويقصد الحجر الأسود فيقبله بغير صوت، فإن لم يستطع تقبيله أشار إليه، ثم يشرع فى الطواف بالبيت ويسن له استلام الركن اليمانى وتقبيل الحجر الأسود فى كل شوط.

فإذا فرغ من الطواف بالبيت سبعا، توجه إلى مقام إبراهيم تاليا قول الله تعالى (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) فيصلى ركعتى الطواف، ثم يأتى زمزم فيشرب من مائها، وبعد ذلك يأتى الملتزم فيدعو الله عز وجل بما شاء من خيرى الدنيا والآخرة، ثم يستلم الحجر ويقبله ويخرج من باب الصفا إلى الصفا تاليا قوله جل ذكره (إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم) ثم يصعد على الصفا ويتجه إلى العقبة داعيا الله تعالى، ثم يسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط، وهذا السعى واجب.

ومما هو جدير بالذكر أن المحرم إذا كان متمتعاً، أى نوى العمرة وحدها حلق رأسه أو قصر، ويحل له ما كان محظوراً من محرمات الإحرام حتى النساء.

أما القارن (وهو الذى نوى الحج والعمرة) أو المفرد (وهو الذى نوى الحج وحده) فيبقيان على إحرامهما وفى اليوم الثامن من ذى الحجة يحرم المتمتع من منزله ويخرج هو وغيره ممن بقى على إحرامه إلى منى فيبيت فيها.

فإذا طلعت الشمس فى اليوم التاسع من ذى الحجة، ذهب إلى عرفات ونزل عند مسجد نمرة، واغتسل وصلى الظهر والعصر جمع تقديم مع الإمام يقصر فيهما الصلاة، فإن لم يستطع مع الإمام صلى قصراً وجمعاً حسب استطاعته، ولايبدأ الوقوف بعرفة إلا بعد الزوال أى ميل الشمس نحو الغرب وليس المقصود بزوال الشمس غروبها، فيقف بعرفة عند

الصخرات أو قريباً منها فإن هذا موضع وقوف النبى ﷺ. والجدير بالذكر أن الوقوف بعرفة هو ركن الحج الأعظم.

ويظل الحاج يدعو الله بعرفات، ويذكره ويبتهل ويجتهد فى العبادة حتى يدخل الليل. فإذا دخل الليل أفاض إلى المزدلفة فيصلى بها المغرب والعشاء جمع تأخير ويبيت بها. فإذا طلع الفجر وقف بالمشعر الحرام وذكر الله كثيراً حتى يسفر الصبح فينصرف بعد أن يستحضر الجمرات ويعود إلى منى. قال تعالى (فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ) والوقوف بالمشعر الحرام واجب من تركه فعليه دم، أى ذبح رأس من الغنم وبعد طلوع الشمس يرمى جمرة العقبة بسبع حصيات ثم يذبح هديه -إن أمكنه- ويحلق شعره أو يقصره وبالحلق يحل له كل ما كان محرماً عليه ما عدا النساء.

ثم بعد ذلك يعود إلى مكة فيطوف بها طواف الإفاضة، وهو طواف الركن، فيطوف كما طاف طواف القدوم.

قال تعالى (ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ) ويسمى هذا الطواف أيضاً طواف الزيارة ومن المعلوم أن المحرم إن كان متمتعاً سعى بين الصفا والمروة بعد هذا الطواف،وإن كان مفرداً أو قارناً وكان قد سعى عند القدوم فلا يلزمه سعى آخر، وبعد هذا الطواف يحل له كل شىء حتى النساء، ثم يعود إلى منى فيبيت بها والمبيت بها واجب يلزم بتركه دم. ثم ماذا بعد هذا؟

بعد زوال الشمس أى ميلها جهة الغرب فى اليوم الحادى عشر من شهر ذى الحجة، يرمى الجمرات مبتدئاً بالجمرة التى

تلى منى، ثم يرمى الجمرة الوسطى ويقف بعد الرمى داعيا ذاكرا، ثم يرمى جمرة العقبة ولا يقف عندها، وينبغى أن يرمى كل جمرة بسبع حصيات قبل الغروب ويفعل فى اليوم الثانى عشر مثل ذلك.

ثم إن الحاج بعد ذلك مخير بين أن ينزل إلى مكة قبل غروب اليوم الثانى عشر وبين أن يبيت بمنى ويرمى فى اليوم الثالث عشر قال تعالى (واذكروا الله في أيام معدودات فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى).

ومعلوم أن رمى الجمار واجب يلزم على تركه دم. أما بعد فإلى طواف الوداع إذا عاد الحاج إلى مكة وأراد العودة إلى بلده، طاف طواف الوداع وهذا الطواف واجب أيضا، ويستحب للمودع أن يدعو بالمأثور عن ابن عباس رضى الله عنهما وهو: اللهم إنى عبدك وابن عبدك وابن أمتك حملتنى على ما سخرت لى من خلقك وسترتنى فى بلادك حتى بلغتنى وأعنتنى على أداء نسكى، فإن كنت رضيت عنى فازدد عنى رضا وإلا فمن الآن فارض عنى قبل أن تنأى عن بيتك دارى فهذا أوان انصرافى إن أذنت لى غير مستبدل بك ولابيتك ولا راغب عنك ولا عن بيتك، اللهم فاصحبنى العافية فى بدنى والصحة فى جسمى والعصمة فى دينى وأحسن منقلبى وارزقنى طاعتك ما بقيتنى واجمع لى بين خيرى الدنيا والآخرة إنك على كل شىء قدير).

وهكذا أدينا أعمال الحج أداء نظريا كما صورها القلم.

واسأل الله أن نؤديها أداء عمليا واعود بك يا أخى من هنـــاك إلى هنا حيث بدأنا الرحلة المباركة. وأسأل الله لى ولـــك حجـــا مبرورا وسعيا مشكورا وذنبا مغفورا.

أقوال الفقهاء فى فريضة الحج

للحج أحكام تتعلق به، لابد للمسلم أن يكون على علم بـــها إذ أن من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين، وسنعرض لهذه الأحكام على وجه التسلسل.

أولا: ما هو الحج؟

هو قصد مكة للطواف بالبيت والســـعى والوقـــوف بعرفـــة وسائر المناسك استجابة لأمر الله وابتغاء مرضاته. وهـــو أحـــد أركان الإسلام الخمسة وهو أحد الفرائض التى علمت من الديـــن بالضرورة. ومنكر وجوبه كافر مرتد عن الإسلام.

متى فرض الحج على الأمة؟

يرى جمهور العلماء أن وجوبه كان سنة ست بعـــد الـــهجرة لأنه فى هذا العام نزل قوله تعالى (وأتموا الحج والعمرة لله).

ما فضلـــه؟

ورد عن رسول اللهﷺ من الأحاديث مايبين بيانا تاما فضـــل الحج وماله من مكانة وما لصاحبه من درجة عند الله وها نحـــن

أولاء نسوق هذه الأحاديث بنصها وسندها عن ابى هريرة رضى الله عنه قال: سئل رسول اللهﷺ أى الأعمال أفضل؟ قال:

(إيمان بالله ورسوله. قيل: ثم ماذا؟ قال: ثم جهاد فى سبيل الله.. قيل ثم ماذا؟ قال ثم حج مبرور) ومعنى كونه مبرورا ألا يخالطه إثم وأن يرجع صاحبه زاهدا فى الدنيا راغبا فى الآخرة، وأن يطعم الطعام ويلين الكلام، وهذا هو الجانب الخلقى فى الحج، والحج جهاد لمن لا يستطيع أن يحمل السلاح فى سبيل الله. عن الحسن بن على رضى الله عنهما ان رجلا جاء إلى النبىﷺ فقال إنى جبان وإنى ضعيف فقال (هلم إلى جهاد لا شوكة فيه: الحج). (رواه النسائى بإسناد حسن)

عن ابى هريرة: إن رسول اللهﷺ قال: جهاد الكبير والضعيف والمرأة: الحج..) (رواه النسائى بإسناد حسن)

وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت (يا رسول الله ترى الجهاد أفضل العمل أفلانجاهد؟ قال: لكن أفضل الجهاد حج مبرور) رواه البخارى ومسلم. وروى عنهما أنها قالت: قلت يا رسول الله ألا نغزوا ونجاهد معكم قال: لكن أحسن الجهاد وأجمله: الحج حج مبرور قالت عائشة: فلا أدع الحج بعد أن سمعت هذا من رسول اللهﷺ.

ومن فضائل الحج أنه من مكفرات الذنوب، وكفى بهذا الفضل إكراما من الله، عن أبى هريرة قال: قال رسول اللهﷺ: (من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه).

(رواه البخارى ومسلم)

وعن عمرو بن العاص قال لما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت رسول اللهﷺ فقلت أبسط يدك فلأبايعك قال: فبسط فقبضت يدى فقال: مالك يا عمرو؟ قلت: اشترط قال: تشترط ماذا؟ قلت: أن يغفر لى؟ قال: (أما علمت أن الإسلام يهدم ما قبله وأن الهجرة تهدم ما قبلها وأن الحج يهدم ماقبله). (رواه مسلم)

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن رسول اللهﷺ قال (تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة) (رواه النسائى والترمذى وصححه)

ويكفيك شرفا أيها المسلم أن تعلم أن الحجاج والعمار وفد الله، والله إنها لمنزلة لاتدانيها منزلة ودرجة لا يلحق بها ولا يشق لها غبار. عن أبى هريرة أن رسول اللهﷺ قال (الحجاج والعمار وفد الله إن دعوه أجابهم وإن استغفروه غفر لهم) (رواه النسائى وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحهما ولفظهما وفد الله ثلاثة: الحاج والمعتمر والغازى).

ومن أفضال الحج أنه طريق إلى جنات الله (نعم الثواب وحسنت مرتفقا) وفى الجنة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة قال: قال رسول اللهﷺ: (العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة) روى ابن جريج بإسناد حسن عن جابر رضى الله عنه أن رسول اللهﷺ قال: (هذا البيت دعامة الإسلام

فمن خرج يؤم هذا البيت من حاج أو معتمر كان مضمونا على الله إن قبضه أن يدخله الجنة وإن رده رده بأجر وغنيمة).

والحج من أفضل الأعمال وإليك هذا الحديث الجامع الذى أجاب فيه الرسولﷺ عن أسئلة بأجوبة كلها البلاغة والفصاحة والبيان والإيجاز المعجز.

عن عمرو بن عبسة رضى الله عنه قال (قال رجل يا رسول الله ما الإسلام؟ قال: أن يسلم قلبك وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك قال فأى الإسلام أفضل؟ قال: الإيمان قال: فأى الإيمان؟ قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت. قال: فأى الإيمان أفضل؟ قال: الهجرة قال وما الهجرة قال: أن تهجر السوء. قال: فأى الهجرة أفضل؟ قال: الجهاد. قال: وما الجهاد قال: أن تقاتل الكفار إذا لقيتهم قال فأى الجهاد أفضل؟ قال: من عقر جواده وأهريق دمه. قال رسول اللهﷺ: ثم عملان هما أفضل الأعمال إلا من عمل بمثلهما: حجة مبرورة أو عمرة مبرورة) (رواه احمد بإسناد صحيح ورواته محتج بهم فى الصحيح والطبرانى وغيره).

وعن ماعز رضى الله عنه عن النبىﷺ أنه سئل أى الأعمال أفضل؟ قال: (إيمان بالله وحده ثم الجهاد ثم حجة برة تفضل سائر الأعمال كمابين مطلع الشمس إلى مغربها).

(رواه أحمد والطبرانى)

وللحاج شفاعة يوم يقوم الناس لرب العالمين، فياله من يوم ما أطوله وياله من جبار ما أعدله وياله من خطب ما أهوله!! عندئذ يكون لكل حاج شفاعة.

عن أبى موسى رضى الله عنه رفعه إلى النبى ﷺ قال: (الحـــاج يشفع فى أربعمائة من أهل البيت أو قال من أهل بيته ويخـــرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه) (رواه البزار)

فيا أخى:

لاتركـــن إلى الدنيـــا وما فيهـــا
فالموت لاشـــك يفنينـــا ويفنيهـــا
واعمل لدار غدا رضوان خازنها
والجار أحمد والرحمـــن ناشيها
قصورها ذهب والمســـك طينتها
والزعفران حشيـــش نابت فيهـــا

ولن يقتصر فضل الحج على ما سبق ذكره بل أنه يتجاوز ذلـــك إلى فضل عظيم لا حدود لعظمته، فهو رصيد يدخر فـــى بنـــك الرحمن جل جلاله لاتنفذ خزائنه، إن فضله يعم وثوابه يحســـب بانتقال المواصلات التى يركبها الحاج قال ﷺ (مـــا ترفـــع إبـــل الحاج رجلا ولا تضع يدا إلا كتب الله له بها حسنة أو محا عنـــه سيئة أو رفع بها درجة) رواه البيهقى وابن حبان. وليس الأمـــر مقصورا على الإبل حيث كانت أداة المواصلات حينذاك ولكنـــه يشمل كل مواصلة فكل خطوة تخطوها فى البر والبحـــر وكـــل شبر تقطعه الطائرة فى جو السماء أو السيارة فى كبد الصحـــواء أو السفينة فى عباب الماء، لك بكل خطوة أجر عند من لا تنفـــد خزائنه. أسأل الله أن يوفق لما فيه رضاه.

سارعوا بالحج

لو يعلم المسلم ما فى الحج من درجات رفيعات ومغفرة للسيئات وإكرام من خالق الكائنات ورضوان من رافع السماوات وثواب بدخول الجنات، لو علم المسلم كل هذه النفحات ما أخر الحج عندما يملك الزاد والنفقة. بهذا نطق الحديث الشريف قال رسول الله ﷺ (تعجلوا إلى الحج يعنى الفريضة فإن أحدكم لا يدرى ما يعرض له) رواه أبو القاسم الأصبهانى نعم يا رسول الله ما يدرى ما يعرض له:

تزود من التقوى فانك لا تدرى
إذا جن ليل هل تعيش إلى الفجر
فكم من فتى أمسى وأصبح ضاحكا
وقد نسجت أكفانه وهو لا يدرى
وكم من عروس زينوها لزوجها
وقد قبضت أرواحهم ليلة القدر
وكم من صغار يرتجى طول عمرهم
وقد أدخلت أجسادهم ظلمة القبر
وكم من صحيح مات من غير علة
وكم من سقيم عاش حينا من الدهر

لو علمت أيها المسلم مالك عند الله من عظيم الأجر إذا حججت وأنفقت. إن داود عليه السلام يسأل ربه هذا السؤال فاستمع إلى نص السؤال وبماذا أجاب مولانا تبارك اسمه.

عن أبى ذر رضى الله عنه أن النبىﷺ قال: إن داود النبى صلى الله عليه وسلم قال: (إلهى ما لعبادك عليك إذا هم زاروك فى بيتك؟ قال: لكل زائر حق على المزور. حقا يا داود إن لهم على أن أعافيهم فى الدنيا واغفر لهم إذا لقيتهم).

(رواه الطبرانى فى الأوسط)

وروى عن سهل بن سعد رضى الله عنهما قال: قال رسول اللهﷺ (ما راح مسلم فى سبيل الله مجاهدا أو حاجا مهللا أو ملبيا إلا غربت الشمس بذنوبه وخرج منها).

(رواه الطبرانى فى الأوسط)

ليس هناك أدنى شك فى أن الحج غنيمة من الحسنات، على كل مسلم أن يغتنمها قبل أن يباغته الموت، ولقد نظر الرسولﷺ إلى مناسك الحج نظرة ثاقبة فبين مالكل منسك من الأجر ،ووزع تلك الغنيمة على المناسك توزيعا تخشع له القلوب، وتمتلىء به النفوس روعة وجلالا وإكبارا وكمالا وعظمة وجمالا، وهذا حديث أسوقه إليك ايها القارىء ولم أجد له تسمية تليق به إلا أنه من دلائل النبوة ومن أقوى الحجج على صدق رسالة مبعوث العناية الإلهية وشمس الهداية الربانية فلنستمع فى إنصات وإخبات وخشوع.

روى ابن عمر رضى الله عنهما قال (كنت جالسا مع النبىﷺ فى مسجد منى فأتاه رجل من الأنصار ورجل من ثقيف فسلما

ثم قالا: يا رسول الله جئنا نسألك فقال إن شئتما أخبرتكما بما جئتما تسألانى عنه فعلت وإن شئتما أن أمسك وتسألانى فعلت؟ فقال أخبرنا يا رسول الله فقال الثقفى للأنصارى سل فقال أخبرنى يا رسول الله فقال: جئتنى تسألنى عن مخرجك من بيتك تؤم البيت الحرام ومالك فيه وعن ركعتيك بعد الطواف ومالك فيهما، وعن طوافك بين الصفا والمروة ومالك فيه وعن وقوفك عشية عرفة ومالك فيه، وعن رميك الجمار ومالك فيه وعن نحرك ومالك فيه مع الإفاضة فقال: والذى بعثك بالحق لعن هذا جئت أسألك.

قال: فإنك إذا خرجت من بيتك تؤم البيت الحرام لا تضع ناقتك خفا ولا ترفعه إلا كتب الله لك به حسنة ومحا عنك خطيئة وأما ركعتاك بعد الطواف كعتق رقبة من بنى إسماعيل عليه السلام، وأما طوافك بالصفا والمروة كعتق سبعين رقبة، وأما وقوفك عشية عرفة فإن الله يهبط إلى سماء الدنيا فيباهى بكم الملائكة يقول: عبادى جاءونى شعثا من كل فج عميق يرجون.جنتى فلو كانت ذنوبكم كعدد الرمل أو كقطر المطر أو كزبد البحر لغفرتها أفيضوا عبادى مغفورا لكم ولمن شفعتم له، وأما رميك الجمار فلك بكل حصاة رميتها تكفير كبيرة من الموبقات وأما نحرك فمدخور لك عند ربك، وأما حلاقك رأسك فلك بكل شعرة حلقتها حسنة ويمحى عنك بها خطيئة، وأما طوافك بالبيت بعد ذلك فإنك تطوف ولا ذنب لك، يأتى ملك حتى يضع يديه بين كتفيك فيقول: اعمل فيما تستقبل فقد غفر لك ما مضى.

(رواه الطبرانى فى الكبير والبزار واللفظ له)

أخى المسلم أعد النظر فى هذا الحديث تجد فيه عجبا وإشارة واضحة إلى منهج الإسلام فى إصلاح المجتمع، وكيف أن الإسلام جعل الحرية ركنا ركينا وحصنا مكينا، ومنحة إلهية لكل إنسان إنها الهدف الثانى الذى سعى الإسلام إلى تثبيت أصوله وإنك لتأخذك الدهشة ويستولى عليك العجب عندما ترى الحديث يقيس ثواب من أعتق رقبة من بنى إسماعيل عليه السلام ثم يقيس ثواب من طاف بين الصفا والمروة على ثواب من أعتق سبعين رقبة.

ألست معى فى أن الإسلام هو الذى جعل من العبيد سادة، وأن محمداﷺ هو محرر العبيد بلا جدال. إن الحقائق تثبت والتاريخ يشهد، والشواهد تؤكد أن نبى الإسلام هو الذى جعل المستضعفين سادة ومن العبيد أساتذة وقادة.

جعل من رعاة الغنم زعماء للأمم وجعل من عباد الحجر قادة للبشر قضى على العبودية ففتح نوافذها ليستنشق كل إنسان على ظهر كوكبنا هذا نسيم العزة والحرية والكرامة والإخاء والمساواة.

ولنعد بعد ذلك إلى كلمة عن الحج فنطرح هذا السؤال. ماحكم من خرج حاجا فمات قبل أن يحج؟

يجيب عن هذا السؤال سيد الخلق وحبيب الحق عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ (من خرج حاجا فمات كتب له أجر الحاج إلى يوم القيامة ومن خرج معتمرا فمات كتب له أجر المعتمر إلى يوم القيامة ومن خرج غازيا فمات كتب له أجر الغازى إلى يوم القيامة).

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال (بينا رجل واقف مع رسول الله ﷺ: اغسلوه بماء وسدر وكفنوه بثوبيه ولا تخمروا رأسه ولا تحنطوه فإنه يبعث يوم القيامة ملبياً).

(رواه البخارى ومسلم)

إنه لشرف عظيم ومنزلة عليا، أن يخرج المسلم من قبره يوم الزحام يهتف لبيك اللهم لبيك فتنعقد الأبصار عليه من هذا؟ إنه عبد مات محرماً فخرج من قبره ملبياً. فاللهم إنا نسألك عيش السعداء وموت الشهداء والزيادة من كل خير والعصمة من كل ذنب.

فضل النفقة فى الحج

إعلم وفقنى الله وإياك أن للنفقة فى الحج فضلا عظيما عن عائشة رضى الله عنها أن رسول اللهﷺ قال لها فى عمرتها: (إن لك من الأجر على قدر نصبك ونفقتك). (رواه الحاكم)

وعن بريدة رضى الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ: (النفقة فى الحج كالنفقة فى سبيل الله بسبعمائة ضعف). رواه أحمد والطبرانى

وروى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله عنه أن رسول اللهﷺ قال: (الحجاج والعمار وفد الله إن سألوا أعطوا وإن دعوا أجيبوا وإن أنفقوا أخلف لهم والذى نفس أبى القاسم بيده: ماكبر مكبر على نشز ولا أهل مهل على شرف من الأشراف ألا أهل ما بين يديه وكبر حتى ينقطع منه مقتطع التراب). (رواه البيهقى)

وقد يسرك يا أخى أن تستمع إلى هذا الحديث الذى رواه جابر بن عبد الله رضى الله عنهما لما فيه من بشرى تبعث الطمأنينة فى القلب، إن هذه البشرى فيها ضمان للحجاج من الفقر استمع إلى نص الحديث. عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما رفعه قال: (ما أمعر حاج قط قيل لجابر: ما الأمعار قال: ما افتقر). (رواه الطبرانى فى الأوسط)

هل الحج مرة واحدة فى العمر؟ أجمع العلماء على أن الحج لا يتكرر وأنه لا يجب فى العمر إلا مرة واحدة ــ إلا أن ينذره فيجب الوفاء بالنذر ومازاد فهو تطوع.

فعن أبى هريرة قال: خطبنا رسول اللهﷺ فقال: (يا أيها الناس إن الله كتب عليكم الحج فحجوا فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثا ثم قالﷺ لو قلت: نعم لوجبت ولما استطعتم ثم قال: ذرونى ماتركتكم فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شىء فدعوه).

(رواه البخارى ومسلم)

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: خطبنا رسول اللهﷺ فقال: (يا أيها الناس كتب عليكم الحج فقام الأقرع بن حابس فقال: أفى كل عام يا رسول الله؟ فقال: لوقلتها لوجبت ولو وجبت لم تعملوا بها ولم تستطيعوا، الحج مرة فمن زاد فهو تطوع). (رواه أحمد وأبو داود والنسائى والحاكم وصححه)

هل يجب الحج على الفور أى أنه يؤدى بعد سن البلوغ مع المقدرة؟ ذهب أبوحنيفة ومالك وأحمد وبعض أصحاب الشافعى وأبو يوسف إلى أن الحج واجب على الفور لحديث ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول اللهﷺ قال: (من أراد الحج فليعجل فإنه قد يمرض المريض وتضل الراحلة وتكون الحاجة).

(رواه أحمد والبيهقى والطماوى وابن ماجة)

وعنه أنهﷺ قال: (تعجلوا الحج ـ يعنى الفريضة ـ فإن أحدكم لا يدرى ما يعرض له) رواه أحمد والبيهقى وقال: ما يعرض له من مرض أو حاجة.

متى يجب الحج؟

يجب على كل مسلم بالغ عاقل حر مستطيع. فمن لم تتحقق فيه هذه الشروط فلا يجب عليه الحج وذلك أن الإسلام والبلوغ والعقل شرط التكليف فى أية عبادة من العبادات.

وفى الحديث أن النبىﷺ قال: (رفع القلم عن ثلاث: عن النائم حتى يستيقظ وعن الصبى حتى يشب وعن المعتوه حتى يعقل).

والحرية شرط لوجوب الحج لأنه عبادة تقتضى وقتا ويشترط فيها الاستطاعة بينما العبد مشغول بحقوق سيده وغير مستطيع.

وأما الاستطاعة فلقول الله تعالى: (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا) إذا كانت الاستطاعة شرطا من شروط وجوب الحج فبم تتحقق؟ تتحقق الإستطاعة بأن يكون المكلف صحيح البدن، فإن عجز عن الحج لشيخوخته أو زمانة أو مرض لا يرجى شفاؤه، لزمه إحجاج غيره عنه إن كان له مال، وإنما يكون الحج عن الغير لمن عجز عن الحج لمرض أو شيخوخة لأنه يكون فى حكم الميت، وذلك لحديث الفضل ابن عباس رضى الله عنهما أن امرأة من خثعم قالت: (يا رسول الله إن فريضة الله على عباده فى الحج أدركت أبى شيخا كبيرا لا

ستطيع أن يثبت على الراحلة أفأحج عنه؟ قال: نعم وذلك فـــى حجة الوداع). (رواه الجماعة)

وفى هذا الحديث دليل على أن المرأة يجوز لها أن تحج عـن الرجل والمرأة والرجل يجوز له أن يحج عن الرجـل والمـرأة بشترط فيمن يحج عن غيره أن يكون قد سبق له الحـــج عـــن نفسه لما رواه ابن عباس رضى الله عنـــهما أن رســول اللهﷺ سمع رجلا يقول: لبيك عن شبرمة فقال: أحججت عن نفســك؟ قال لا قال فاحجج عن نفسك ثم حج عن شـــبرمة). (رواه أبـــو داود وابن ماجة)

وتتحقق الاستطاعة أيضا بأمن الطريق بحيث يـــأمن الحـــاج على نفسه وماله فلو خاف على نفسه من قطاع الطريق أو وبـــاء أو خاف على ماله من أن يسلب منه فهو ممن لم يســـتطع إليـــه سبيلا.

كذلك تتحقق الإستطاعة بأن يكـــون الحـــاج مالكـــا للـــزاد والراحلة والمراد بالزاد أن يملك ما يكفيه مما يصح بـــه بدنـــه، ويكفى من يعوله من ملبس ومسكن ومركب وآلة حرفة، حتـــى يؤدى الفريضة ويعود وقد ورد أن الرسول ﷺ فسر السبيل فـــى قوله تعالى: (من استطاع إليه سبيلا) بالزاد والراحلة.

ما حكم حج الصبى والعبد؟

لا يجب عليهما الحج لكنـــهما إذا حجـــا صـــح منـــهما ولا يجزئهما عن حجة الإسلام قال ابن عباس رضى الله عنهما قـــال النبىﷺ (أيما صبى حج ثم بلغ الحنـــث فعليـــه أن يحـــج مـــرة أخرى، أيما عبد حج ثم أعتق فعليه أن يحج مرة أخـــرى) رواه الطبرانى بسند صحيح وقد أجمع أهل العلم على أن الصبـــى إذا حج قبل أن يدرك فعليه الحج إذا أدرك.

يوم عرفة

ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود يوم تغرب الشمس بذنوب العباد وينادى الله تعالى (يا ملائكتى هؤلاء عبادى أتونى شعثاً غبرا ضاحين أى واقفين فى شمس الضحى يرجون رحمتى ويخافون عذابى أشهدكم يا ملائكتى أنى قد غفرت لهم أفيضوا عبادى مغفوراً لكم ولمن شفعتم فيهم).

ما هذا الفضل والإكرام؟ وما هذه المنة؟ وما ذاك الإنعام؟ إنه الواحد الحنان المنان فما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عدداً من النار من يوم عرفة وأنه لفضل ثم يباهى بهم الملائكة ويقول ما أراد هؤلاء؟ فإلى عرفات الله حيث الحج الأكبر ومئات الألوف تحتشد فى ثياب واحدة ورؤوس عارية شابة وأخرى غزاها الشيب لم تجمعها أجهزة الإعلام ولم توزع عليها تذاكر الدعوة إنما لبت نداء الملك وهتفت نشيداً واحداً رفعته الملائكة إلى أجواز السماء لبيك اللهم لبيك.

وما أدراك ما عرفات: إنه يوم عرفة وما أدراك ما عرفات؟ فى شرق مكة على يسار الطريق الذاهب إلى الطائف وفى الحدود بين الحل والحرام ينفرج واد عظيم يحيط به قوس جبلى كبير يكاد يكون ملتحما من جهات ثلاث: الشمال والشرق والغرب ولكنه مفتوح فتحة كاملة من الجنوب وعلى ذلك الطريق الذى يمثل وتر القوس وعلى امتداد سفح الجبل تجرى

عن يمينه متابعة للقوس فى تعريجاتها هذا الوادى العظيم هو وادى عرفة وهذه القوس الكبيرة التى تحتضن الوادى بذراعيها هو جبل عرفة جبل عرفات الله ومشرف واديه إذ جعلها مثابة ومجتمعاً لحجاج بيته فى وقت معلوم كل عام، ذلك هو اليوم التاسع من ذى الحجة وليلة العاشر منه. مثل هذا المكان المبارك ولشعائر الله المثل الأعلى مثل قاعة الانتظار التى تسجل فيها أسماء الزائرين قبل الحظوة بالاستقبال فى الحجرة الخاصة الكريمة، هكذا قبل أن يطوف الحجيج بالكعبة المكرمة الطواف المفروض الذى لا يعتد به ركناً من أركان الحج إلا فى اليوم العاشر أو فيما بعده، يجب أن يكونوا قد سجلوا حضورهم قبل ذلك فى مدخل الحرم، أعنى قبل حدود الحرم على جبل عرفات أو فى الوادى الذى يحتضنه ذلك الجبل فى اليوم التاسع أو فى عشيته أو فيهما معاً.

ذلك هو يوم عرفة الذى قال فيه الرسول صلوات الله عليه وسلامه (الحج عرفة) فمن أدرك عرفة فقد أدرك الحج ومن فاته عرفة فقد فاته الحج من عامه.

يوم الحج الأكبر

يوم عرفة الذى سماه الله (يوم الحج الأكبر) فى تفسير طائفة من الصحابة أو هو أحد أيام الحج الأكبر فى تفسير طائفة أخرى، ذلك هو يوم عرفة الذى سجل فيه تاريخ الإسلام ذكرى من أعظم الذكريات، وبشرى من أحب البشريات، فلقد كان أعداء المسلمين يحاولون بكل الوسائل أن يطفئوا نوره، وأن يقتلوه فى مهده ومازال الصراع بينه وبينهم عشرين عاما، أو يزيد حتى انتصر الإنتصار النهائى باستتباب الأمن فى جزيرة العرب، وبتطهير الحرم وما حوله من رجس الوثنية وأنصارها فى السنة العاشرة من الهجرة فلما كان يوم عرفة من حجة الوداع فى ذلك العام، نزل القرآن ليسجل هذا الحادث التاريخى الحاسم فحسب، ولكن ليعلن كذلك أنه حادث وما بعده وأنه لاخوف على الإسلام بعد اليوم من أعدائه (اليوم يئس الذين كفروا من دينكم) ولقد كان دستور الشريعة ينزل فصولا ومواد متفرقة متقاربة أو متباعدة، وكان يخشى أن تختم حياة الرسول قبل أن تتم مواد هذا الدستور، فلما كان يوم عرفة لحجة الوداع أعلنت الآية نفسها أن أمر الشريعة قد أحكم وأبرم، وإن هذا هو مسك الختام وأنه لن ينزل بعد ذلك شرع جديد بتحريم حلال او تحليل حرام، إعلان فذ فى تاريخ التشريع السماوى، فقد كان كل رسول ينبىء أمته أنه سيأتيهم بعده من يكمل لهم البنيان، حتى

جاء محمد خاتم الأنبياء ﷺ فبلغ الرسالة وأدى الأمانة، وأعلنها الله على لسانه فى ذلك اليوم شريعة تامة كاملة خاتمة دائمة. (اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي).

ذلك هو يوم عرفة الذى قالت اليهود فى شأنه لعمر (إنكم تقرؤون فى كتابكم آية-لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا، فقال عمر وما تلك الآية قالوا.

(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي). قال عمر والله إنى لا أعلم فى أى يوم أنزلت وفى أى ساعة أنزلت وأين أنزلت وأين كان الرسول ﷺ حين أنزلت ورسول الله قائم فينا يخطب ونحن وقوف وذلك عشية يوم الجمعة ألا وأنهما لنا عيدان.

صدق عمر. فيوم الجمعة للمسلمين عيد أسبوعى ويوم عرفة لهم عيد سنوى يتلوه عيد سنوى.

يوم مشهود

ذلك يوم عرفة فى تاريخه المجيد وما يوم عرفة فى حلضره القريب، بأهون منه شأناً فى ماضيه البعيد، إن قدره على الزمان يتجدد وأن فضله فى كل عام يعود ويتردد، إنه فى موسم الحج ليوم مشهود بل هو أعظم وأفخم مشاهدة وأوسعها رقعة، وأحفلها جمعاً وأجملها منظراً وأعمقها أثراً، فلو أن أبصارنا وأسماعنا تتخطى هذا الأفق، وتنفذ من وراء الحجب لترى وتسمع مايدور اليوم تلك البقعة الطاهرة، لرأينا وسمعنا مالا ترى عين ولاتسمع أذن فى غير هذا المكان المشهود.

ما تلك الجزيرة البيضاء التى تسد الأفق وتغطى السهل والجبل، إنها كتلة ذوى القلوب المؤمنة، يلوحون فى ثيابهم البيض كأنها أجنحة الملائكة، وقد تضاموا وتلاحقوا، حاسرى الرؤوس حفاة الأقدام أو يكادون باسطى أيديهم إلى السماء، رافعى أصواتهم بالتلبية أو بالدعاء، متقطعة أنفاسهم بدقات الخوف أو بخفقات الرجاء.

لحظات بعيدة الأثر

ياله من موقف تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله يالها من لحظات إنها لحظات لتجرد، تجرد عن المال والأهل والولد بل تجرد كل امرىء عن نفسه ونسيانه لمطامحه ومطامعه فورا إلى الله وإقبالا على الله.

يالها من نقطة تحول فى طبيعة الإنسان، هذا الإنسان المادى الروحى تنصهر ماديته هاهنا انصهارا وتذوب ذوبانا فإذا هو قد عاد ربانيا خالصا وروحا محضا أولئك هم ملائكة الأرض يباهى الله بهم ملائكة السماء طوبى لهم، طوبى لهم أى وفد الرحمن.

إن أجسامنا هاهنا موثقة ولكن قلوبنا بكم ملصقة تسير معكم حيثما سرتم وتنزل معكم حيثما نزلتم ولئن فاتنا السير فى ركابكم فإنه لن يفوتنا إن شاء الله اقتفاء آثاركم إنكم تدعون وتضرعون فى عرفات فلندع ونضرع فى الفلوات والخلوات.

إنكم ستكبرون على الجمرات، فلنكبر نحن فى أعقاب الصلوات. إنكم ستذكرون الله على مارزقكم من بهيمة الأنعام لتأكلوا منها وتطعموا البائس الفقير، فلنذكر كذلك اسم الله على مارزقنا من بهيمة الأنعام لنأكل منها ونطعم البائس كذلك،

وأخيرا فإننا نرجو أن يكتب لنا أجر حجتكم وأن ينالنا شيء من دعائكم.

وسلام الله علينا وعليكم وعلى عباد الله الصالحين:

الأضحية

قالﷺ (ضحوا فإنها سنة أبيكم إبراهيم) وقال: (من وجد سعة ولم يضح فلا يقربن مصلانا) فما هى الأضحية؟

الأضحية ذبح حيوان مخصوص فى وقت مخصوص بنية التقرب إلى الله تعالى. كان هذا هو الموجز وإليكم تفصيل أحكامها من مدرسة محمدﷺ.

شرع الله الأضحية بقوله سبحانه: (إنا أعطيناك الكوثر* فصل لربك وانحر* إن شانئك هو الأبتر).

الكوثر نهر من أنهار الجنة ماؤه أشد بياضا من اللبن، وريحه أطيب من ريح المسك وطعمه أحلى من العسل وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدا، وقيل الكوثر هو الخير الكثير على وزن فوعل من الكثرة. وايا كان فهذه منحة إلهية منحها الله نبيناﷺ ونعمة كبرى تستحق الشكر، وهل هناك من الشكر ما يكافىء نعم الله لكن فى حدود الطاقة الإنسانية، يقول الله لنبيه (فصل لربك وانحر).

فالصلاة صلة بينك وبين الله وفى النحر صلة بينك وبين الفقراء من عباد الله تقربا إلى ذى الجلال والإكرام.

النحر بعد صلاة العيد

وهل الصلاة المأمور بها هنا الفرائض الخمس، أم صلاة عيد الأضحى؟ أيا ما كإن النحر يكون بعد صلاة العيد لا قبلها؛ ثم أثنى الله تعالى على رسوله بما هو أهله فقال له: إن شانئك أى مبغضك وكارهك هو الأبتر المقطوع الذكرى الذى لا أثر له بعد موته، أما أنت فإن ذكراك باقية مدى الدهر أعطر من الزهر وعزتى وجلالى لو سلكوا إلى كل طريق واستفتحوا على كل باب ما فتحت لهم حتى ياتوا خلفك يا محمد.

ذكراك باقية ودينك خالد
كالشمس يحيى المشرقين طلوعا
وسع العقائد يستضاء بنوره
يعلو على ضوء النهار سطوعا

ما فضل الأضحية

روى الترمذى عن عائشة أن النبى ﷺ قال: (ما عمل آدمى من عمل يوم النحر أحب إلى الله من إهراق الدم-أى إسالته أى

ذبح الأضحية- إنها لتأتى يـــوم القيامـــة بقرونـــها واشـــعارها وأظلافها وأن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع علـــى الأرض فطيبوا بها نفسا).

ما حكمها؟

الأضحية سنة مؤكدة ويكره تركها مع القدرة عليها، لحديث أنس الذى رواه البخارى ومسلم أن النبى ﷺ، ضحى بكبشين أملحين أقرنين، ذبحهما بيده وسمى وكبر.

روى مسلم عن أم سلمة أن النبى ﷺ قال: (إذا رأيتم هلال ذى الحجة وأراد أحدكم أن يضحى فليمسك عن شعره وأظفاره).

فقوله أراد أن يضحى دليل على السنة لا على الوجوب).

وروى عن أبى بكر وعمر أنهما كانا لا يضحيان عن أهلهما مخافة أن يرى ذلك واجبا.

متى تجب الأضحية ؟ لاتجب إلا بأحد أمرين:

١-أن ينذرها لقول الرسول ﷺ: (من نذر أن يطيع الله فليطعه) وحتى لو مات الناذر فإنه تجوز النيابة فيما عينه بنذره قبل موته.

٢-أن يقول هذه لله أو هذه أضحية، وعند مالك إذا اشتراها بنية الأضحية وجبت.

ما الحكمة من الأضحية؟ شرع الله الأضحية إحياء لذكرى إبراهيم وتوسعة على الناس يوم العيد، كما قال الرسول ﷺ (إنما هى أيام أكل وشرب وذكر لله عز وجل).

من أى الأشياء تكون الأضحية ؟ :

لا تكون الأضحية إلا من الإبل والبقر والغنم، ولا تجـــزىء من غير هذه الثلاثة، يقول الله سبحانه (ليذكروا اسم الله على مـــا رزقهم من بهيمة الأنعام) ويجزىء من الضأن ماله نصف سنة ومن المعز ماله سنة ومن البقر ما له سنتان ومن الإبل ماله خمـــس سنين يستوى فى ذلك الذكر والأنثى.

ولا بأس بالأضحية بالخصى، روى أحمد عن أبى رافع قال: (ضحى رسول اللهﷺ بكبشين أملحين موجودين خصيـــن ولأن لحمه أطيب وألذ).

ولما كانت الأضحية هدية تهدى إلى الله، أى يراد بها وجـــه الله لما كانت كذلك، وجب أن تكون صالحة طيبة قال.تعالى (لـن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون)لـــذا أوجـب الشـــرع أن تكـــون الأضحية لائقة خالية من العيوب فلا يجوز الأضحية بالمعيبـــة مثل المريضة البين مرضها، والعوراء البين عورها والعرجـــاء البين طلعها والعجفاء التى لا تنقى، والعضباء التى ذهب أكـــثر أذنها أو قرونها ويلحق بـــهذه الـــهتماء والعصمـــاء والعميـــاء والتولاء والجرباء التى كثر جربها.

ولا بأس بالعجماء والبتراء والحامل وما خلق بغـــير أذن، أو ذهب نصف أذنه أو أليته، وإلا صح عند الشـــافعية لا تجـــزىء مقطوعة الإلية والضرع لفوات جزء مـــأكول وكـــذا مقطوعـــة الذنب.

قال الشافعي: لا نحفظ عن النبي ﷺ في الأسنان شيئا. والمقصود بالعجفاء التي ذهب مخها من شدة الهزال والهتماء هي التي ذهب ثناياها من أصلها، والعصماء ما انكسر غلاف قرنها والتولاء التي تدور في المرعى ولا ترعى.

ماوقت ذبحها ؟

لا يعبأ كثير من الناس بذبح الأضحية في وقتها الذي شرعه الله لذلك. وهذا خطأ ففي ليلة عيد الأضحى تسمع الأصوات تصيح: جزار جزار وينادى عليها فيذبحها قبل وقتها وتلك مخالفة شرعية نصححها.

يشترط في الأضحية ألا تذبح إلا بعد طلوع الشمس من يوم العيد، ويمر من الوقت قدر ما يصلى العيد. ويصح ذبحها بعد ذلك في أي يوم من الأيام الثلاثة في ليل أو نهار، ويخرج الوقت بانقضاء هذه الأيام.

فعن البراء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: إن أول ما نبدأ به في يومنا هذا، أن نصلي ثم نرجع فننحر، فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا ومن ذبح قبل فإنما هو لحم قدمه لأهله ليس من النسك في شيء).

وقال ابو بردة: خطبنا رسول الله ﷺ يوم النحر فقال: (من صلى صلاتنا ووجه قبلتنا ونسك نسكنا فلا يذبح حتى يصلي). روى الشيخان عن الرسول ﷺ من ذبح قبل الصلاة فإنما يذبح لنفسه ومن ذبح بعد الصلاة والخطبتين فقد أتم نسكه وأصاب سنة المسلمين).

هل تكفى أضحية واحدة عن البيت الواحد ؟

إذا ضحى الإنسان بشاة من الضأن أو المعز أجزأ عنه وعن أهل بيته. فهى سنة كفاية.

هل تجوز المشاركة فى الأضحية ؟

تجوز المشاركة فى الأضحية إذا كانت من الإبل أو البقر وتجزىء البقرة أو الجمل عن سبعة أشخاص إذا كانوا قاصدين الأضحية والتقرب إلى الله. فعن جابر قال: نحرنا مع النبىﷺ بالحديبية البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة).

(رواه مسلم)

كيف توزع الأضحية ؟

يسن للمضحى أن يأكل من أضحيته ويهدى الأقارب ويتصدق منها على الفقراء، قال رسول اللهﷺ (كلوا وأطعموا وادخروا). وقد قال العلماء: الأفضل أن يأكل الثلث ويتصدق بالثلث ويدخر الثلث. ويجوز نقلها ولو إلى بلد آخر، ولا يجوز بيعها ولا بيع جلدها ولا يعطى الجزار من لحمها شيئاً، كأجر وله أن يكافئه نظير عمله وإنما يتصدق به المضحى أو يتخذ منه ما ينتفع به.

وعن ابى حنيفة أنه يجوز بيع جلدها ويتصدق بثمنه وأن يشترى بعينه ما ينتفع به فى البيت. يسن لمن يحسن الذبح أن يذبح أضحيته بيده ويقول باسم الله والله أكبر اللهم هذا عن فلان ويسمى نفسه فإن رسول اللهﷺ ذبح كبشاً وقال باسم الله والله

أكبر اللهم هذا عنى وعن من لم يضح من أمتى) رواه أبو داود والترمذى. فإن كان لا يحسن الذبح فليشهده ويحضره فإن النبىﷺ قال لفاطمة: يا فاطمة قومى فاشهدى أضحيتك فإنه يغفر لك عند أول قطرة من دمها كل ذنب عملته وقولى: (إنَّ صَلاتِي ونُسُكِي ومَحْيَايَ ومَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ* لا شَرِيكَ لَهُ وبِذَلِكَ أُمِرْتُ وأَنَا أَوَّلُ المُسْلِمِينَ).

فقال أحد الصحابة يا رسول الله هذا ولأهل بيتك خاصة أو للمسلمين عامة؟ قال رسول اللهﷺ بل للمسلمين عامة.

اسأل الله تعالى أن يجعل عملنا خالصا لوجهه وابتغاء مرضاته إنه سميع قريب.

حجة الوداع

وتسمى أيضا حجة البلاغ، لأن الرسول ﷺ بلغ فيها الأمة قواعد الإسلام من اصول العقائد إلى شعائر العبادات إلى قواعد الأحكام إلى مبادىء النظام إلى مناهج السلوك إلى أساس الأخلاق.

وتسمى أيضا حجة الإسلام لما اشتملت عليه من أصول الإسلام.

وإنما سميت حجة الوداع لأن الرسول ﷺ لحق بعدها بالرفيق الاعلى فلم يمكث بعد أدائها إلا ثمانين يوما، بعدها رحل من جوار الخلق إلى رحاب الحق، وفيها أذاع هذا البيان على المسلمين: أيها الناس خذوا عنى مناسككم فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا، وكأنه ﷺ كان يستشف الحجب، وينظر من وراء الغيب بمنظار ثاقب ولنترك جابر بن عبد الله يحدثنا عن هذه الحجة المهيبة بلسان عربي مبين فلتصغ الآذان وليخشع القلوب ولتعقل الأفئدة، فهيا بنا إلى بيت جابر بن عبد الله.

روى الإمام مسلم بسنده المتصل إلى جعفر بن محمد عن أبيه قال: دخلنا على جابر بن عبد الله رضى الله عنه فسأل القوم حتى انتهى إلى فقلت أنا محمد بن على بن حسين.

فأهوى بيده إلى رأسى فنزع زرى الأعلى ثم نزع زرى الأسفل ثم وضع كفه بين ثديى وانا يومئذ غلام شاب، فقال مرحبا بك يا ابن أخي سل عما شئت فسألته-وهو أعمى- وحضر وقت الصلاة فقام فى نساجه ملتحفا بها كلما وضعها على منكبه، رجع طرفاها إليه من صغرها ورداؤه إلى جنبه على المشجب، فصلى بنا فقلت: أخبرنى عن حجة رسول اللهﷺ فقال بيده: فعقد تسعا. فقال: إن رسول اللهﷺ مكث تسع سنين لم يحج. ثم أذن فى الناس فى العاشرة: إن رسول اللهﷺ حاج فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس أن يأتم برسول اللهﷺ ويعمل مثل عمله، فخرجنا معه حتى أتينا ذا الحليفة فولدت أسماء بنت عميس محمد بن أبى بكر فأرسلت إلى رسول اللهﷺ كيف أصنع قال: اغتسلى واستثفرى بثوب واحرمى.

فصلى رسول اللهﷺ فى المسجد، ثم ركب القصواء حتى استوت به ناقته على البيداء، نظرت إلى مد بصرى بين يديه من راكب وماشى وعن يمينه مثل ذلك. وعن يساره مثل ذلك، ومن خلفه مثل ذلك ورسول اللهﷺ بين أظهرنا وعليه ينزل القرآن وهو يعرف تأويله وما عمل به من شيء عملنا به.

فأهل بالتوحيد (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك وأهل الناس بهذا الذى يهلون به، فلم يرد رسول اللهﷺ شيئا منه، ولزم رسول اللهﷺ تلبيته فلما قرب من الصفا قرأ (إن الصفا والمروة من شعائر الله) ابدأ بما بدأ الله به، فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت

استقبل القبلة فوحد الله وكبره وقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده أنجز وعده نصر عبده وهزم الأحزاب وحده، ثم دعا بين ذلك قال مثل هذا ثلاث مرات، ثم نزل إلى المروة حتى إذا انصبت قدماه فى بطن الوادى سعى حتى إذا صعدنا مشى حتى أتى المروة ففعل على المروة كما فعل على الصفا.

حتى إذا كان آخر طوافه على المروة، فقال له (أنى استقبلت من أمرى ما استدبرت، لم أسق الهدى وجعلتها عمرة فمن كان منكم ليس معه هدى فليحل وليجعلها عمرة).

فقال سراقة بن مالك بن جعثم، فقال: يا رسول الله العامنا هذا أم لابد؟ فشبك رسول اللهﷺ أصابعه واحدة فى الأخرى وقال: دخلت العمرة فى الحج مرتين لا بل لابد أبدا وقدم على من اليمين ببدن النبىﷺ فوجد فاطمة رضى الله عنها ممن حل ولبست ثيابا صبيغا واكتحلت فأنكر ذلك عليها فقالت: إن أبى أمرنى بهذا.

فسار رسول اللهﷺ، ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام كما كانت قريش تصنع فى الجاهلية، فأجاز رسول اللهﷺ حتى أتى عرفة فوجد القبة قد ضربت له بنمرة، فنزل بها حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فرحلت له فأتى بطن الوادى فخطب الناس وقال: إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمى موضوع ودماء الجاهلية

موضوعة (وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث كان مسترضعا فى بنى سعد فقتلته هزيل وربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضع ربانا ربا عباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله فاتقوا الله فى النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن أن لا يوطئن فروشكم أحدا تكرهونه فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعدى. إن اعتصمتم به كتاب الله وأنتم تسألون عنى فما أنتم قائلون؟

قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء ينكتها إلى الناس (اللهم أشهد اللهم فاشهد) ثلاث مرات. ثم أذن ثم اقام فصلى الظهر، ثم أقام فصلى العصر، ولم يصل بينهما شيئا ثم ركب رسول الله ﷺ حتى أتى الموقف، فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات، وجعل حبل الشاه بين يديه واستقبل القبلة فلم يزل واقفا حتى غربت الشمس، وذهبت الصفرة قليلا حتى غاب القرص وأردف أسامة خلفه، ودفع رسول الله ﷺ وقد شنق-أى ضم وضيق- للقصواء الزمام حتى أن رأسها ليصيب مورك رحله ويقول بيده اليمنى (أيها الناس السكينة السكينة) كلما أتى جبلا من الجبال أرخى لها قليلا حتى تصعد، حتى أتى المزدلفة وصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين ولم يسبح بينهما شيئا، ثم اضطجع رسول الله ﷺ حتى طلع الفجر، وصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان وإقامة ثم ركب القصواء حتى

أتى المشعر الحرام، حتى استقبل القبلة فدعاه وكبره وهلله ووحده، فلم يزل واقفا حتى اسفر جدا فدفع قبل أن تطلع الشمس وأردف الفضل بن عباس وكان رجلا حسن الشعر أبيض وسيما فلما رفع رسول الله ﷺ مرت به ظعن يجرين فطفق الفضل ينظر إليهن فوضع رسول الله ﷺ يده على وجه الفضل فحول الفضل وجهه إلى الشق الآخر ينظر، فحول رسول الله ﷺ يده من الشق الآخر على وجه الفضل، يصرف وجهه من الشق الآخر ينظر حتى أتى بطن محسر فحرك قليلا ثم سلك الطريق الوسطى التى تخرج على الجمرة الكبرى حتى أتى الجمرة التى عند الشجرة فرماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة منها مثل حصا الخزف، رمى من بطن الوادى.

ثم انصرف إلى المنحر فنحر ثلاثا وستين بيده ثم أعطى عليا فنحر ما غبر-ما بقى- وأشركه فى هديه ثم أمر من كل بدنة ببضعة فجعلت فى قدر فطبخت فأكلا من لحمها وشربا من مرقها ثم ركب رسول الله ﷺ فأفاض إلى البيت فصلى بمكة الظهر فأتى بنى عبد المطلب يسقون على زمزم فقال انزعوا بنى عبد المطلب فلولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم فناولوه دلوا فشرب منه.

قال العلماء واعلم أن هذا حديث عظيم يشتمل على جمل من الفوائد.

ونفائس من مهمات القواعد قال القاضى عياض قد تكلم الناس على ما فيه من الفقه وأكثروا وصنف فيه أبو بكر بن

المنذر جزءا كبيرا أخرج فيه من الفقه مائة ونيفا وخمسير نوعا، قال ولو تقصى لزيد على هذا العدد قريب منه، قالوا وفيه دلالة على أن غسل الاحرام سنة للنفساء والحائض ولغيرهم بالأولى على استثفار الحائض والنفساء، وعلى صحة إحرامهم وأن يكون الإحرام عقب صلاة فرض أو نفل، وأن يرفع المحرم صوته بالتلبية ويستحب الاقتصار على تلبية النبي ﷺ فإذا زاد فلا بأس فقد زاد عمر لبيك ذا النعماء والفضل الحسن، لبيك مرهوبا منك ومرغوبا إليك وإنه ينبغى للحاج القدوم أولا إلى مكة ليطوف طواف القدوم وأن يستلم الركن الحجر الأسود قبل طوافه، ويرمل فى الثلاثة أشواط الأولى والرمل أسرع المشى مع تقارب الخطى وهو الخبب وهذا الرمل يفعله ما عدا الركنين اليمانيين، ثم يمشى أربعا على عادته وأنه يأتى بعد تمام طوافه مقام إبراهيم ويتلو (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى).

ثم يجعل المقام بينه وبين البيت ويصلى ركعتين ويقرأ فيهما فى الأولى بعد الفاتحة سورة الكافرون وفى الثانية بعد الفاتحة سورة الإخلاص.

ودل الحديث أنه يشرع له الاستلام عند الخروج من المسجد كما فعله عند الدخول.

واتفق العلماء على أن الاستلام سنة وأنه يسعى بعد الطواف ويبدأ من الصفا ويرقى إلى أعلاه ويقف عليه مستقبل القبلة ويذكر الله تعالى بهذا الذكر ويدعو ثلاث مرات ويرمل فى بطن الوادى وهو الذى يقال له (بين الميلين) وهو أى الرمل-مشووع فى كل مرة من السبعة الأشواط لا فى الثلاثة الأول كما فى

طواف القدوم بالبيت، وأنه يرقى أيضا على المروة كما رُقى على الصفا ويذكر ويدعو ويتمام ذلك تتم عمرته.

فإن حلق أو قصر صار حلالا.

وهكذا فعل الصحابة الذين أمرهم ﷺ بفسخ الحج إلى العمرة.

وأما من كان قارنا فإنه لا يحلق ولا يقصر ويبقى على إحرامه ثم فى يوم التروية-وهو الثامن من ذى الحجة- يحرم من أراد الحج ممن أحل من عمرته ويذهب هو ومن كان قارنا إلى منى.

والسنة يصلى بمنى الصلوات الخمس وأن يبيت بها هذه الليلة-وهى ليلة التاسع من ذى الحجة.

ومن السنة كذلك أن لا يخرج يوم عرفة من منى إلا بعد طلوع الشمس ولا يدخل عرفات إلا بعد زوال الشمس.

وبعد صلاة الظهر والعصر جمعا بعرفات فإنه ﷺ نزل بنمرة وليست من عرفات.

ولم يدخل ﷺ الموقف إلا بعد الصلاتين ومن السنة أن يصلى بينهما شيئا وان يخطب الإمام الناس قبل الصلاة وهذه إحدى الخطب المسنونة فى الحج والثانية-أى من الخطب المسنونة- يوم السابع من ذى الحجة يخطب عند الكعبة بعد صلاة الظهر.

والثالثة-أى من الخطب المسنونة- يوم النحر.

والرابعة-يوم النفر الأول.

وفى الحديث سنن وآداب منها:

أن يجعل الذهاب إلى الموقف عند فراغه من الصلاتين وأن يقف-عرفات- راكباً أفضل.

وأن يقف عند الصخرات عند موقف النبىﷺ أو قريبا منه.

وأن يقف مستقبل القبلة.

وأن يبقى فى الموقف حتى تغرب الشمس.

ويكون وقوفه داعيا لله عز وجل رافعا يديه إلى صدره وأن يدفع بعد تحقق غروب الشمس بالسكينة ويأمر الناس بها إن كان مطاعا.

فإذا أتى المزدلفة نزل بها وصلى المغرب والعشاء جمعا بآذان واحد وإقامتين دون أن يتطوع بينهما شيئا من الصلوات وهذا الجمع متفق عليه بين العلماء.

وإنما اختلفوا فى سببه فقيل إنه نسك وقيل لأنهم مسافرون أى السفر هو العلة لمشروعية الجمع.

ومن السنن-المبيت بمزدلفة- وهو مجمع على أنه نسك وإنما اختلفوا فى كونه-أى المبيت- واجبا أو سنة ومن السنة أن يصلى الصبح فى المزدلفة ثم يدفع منها بعد ذلك فيأتى المشعر الحرام، فيقف به ويدعو والوقوف عنده من المناسك.

ثم يدفع منه عند أسفار الفجر أسفارا بليغا فيأتى بطن محسر فيسرع السير فيه لأنه محل غضب الله فيه على أصحاب الفيل فلا ينبغى الإناة فيه ولا البقاء فيه.

فإذا أتى الجمرة-وهى جمرة العقبة- نـــزل ببطـــن الـــوادى ورماها بسبع حصيات كل حصاة كحبة البـــــاقلاء-أى الفـــول- يكبر مع كل حصاة.

ثم ينصرف بعد ذلك إلى النحر، فينحر إن كان عنده هدى ثـم يحلق بعد نحره.

ثم يرجع إلى مكة فيطوف طواف الإفاضة، وهو الذى يقـــال له طواف الزيارة.

ومن بغده يحل له كل ما حرم عليـــه بـــالإحرام حتـــى وطء النساء.

وأما إذا رمى جمرة العقبة ولم يطف هذا الطواف يحـــل لـــه كل شىء ماعدا النساء.

هذا هو هدى رسول اللهﷺ فى حجه والآتى به مقتـــد بـــه ﷺ وممتثل لقوله (خذوا عنى مناسككم) وحجه صحيح.

الروضة الشريفة

بعد ما أدى رسول الله ﷺ حجة الوداع ووصل إلى المدينة المنورة وذات ليلة قال لغلامه أبى مويهبة، هيا بنا لنزور أهل البقيع فإن الله أمرنى بزيارتهم، وفى وحشة الليل وصمت القبور، قال الرسول المعصوم السلام عليكم يا أهل البقيع، هنيئا لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه لقد أقبلت الفتن يتبع آخرها أولها والآخرة شر من الأولى أى الآخرة شر مما سبقتها، وعاد الرسول ﷺ إلى بيته وشكا حمى نزلت به.

حدث أبو مويهبة أن النبى ﷺ قال له أول مابلغا بقيع الغرقد: أنى أمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع فانطلق معى (فلما استغفر لهم وآن له أن يئوب أقبل على أبى مويهبة فقال له: يا أبا مويهبة إنى قد أتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلود فيها ثم الجنة فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربى والجنة).

قال أبو مويهبة بأبى أنت وأمى فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة قال محمد (لا والله يا أبا مويهبة لقد اخترت لقاء ربى والجنة).

أصبح رسول الله ﷺ فى الغداة ومر بعائشة فوجدها تشكو صداعا فى رأسها وتقول وارأساه فقال لها وقد بدأ يحس ألم

مرض بل أنا والله يا عائشة وارأساه وكررت عائشة الشكوى ن صداعها حين سمعته يشكو فقال لها:

وما ضرك لو مت قبلى، فقمت عليك وكفنتك وصليت عليك دفنتك فأجابت وليكن ذلك حظ غيرى، والله لكأن بك لوقد علت ذلك لقد رجعت إلى بيتى فأعرست فيه ببعض نسائك.

تبسم رسول اللهﷺ لكن الألم جعل يعاوده وتزداد به شدته، حتى ذا كان فى بيت ميمون لم يطق مغالبته ورأى نفسه فى حاجة لى التمريض هناك، استأذن زوجاته أن يمرض فى بيت عائشة أذن له فى الإنتقال، فخرج عاصبا رأسا يعتمد فى مسيرته على على بن أبى طالب وعلى عمه العباس وقدماه لا تكاد أن حملانه حتى دخل بيت عائشة وزادت به الحمى فى الأيام الأولى من مرضه لكن ذلك لم يكن يمنعه ساعة تنزل الحمى من أن يمشى إلى المسجد ليصلى بالناس وظل على هذا عدة أيام لا يزيد على الصلاة ولا يقوى على محادثة أصحابه وخطابهم.

قال صاحب الإحياء رحمه الله تعالى: اعلم أن فى رسول اللهﷺ أسوة حسنة حيا وميتا، وفعلا وقولا وجميع أحواله عبرة للناظرين وتبصرة للمستبصرين، إذ لم يكن أحد أكرم على الله منه إذ كان خليل الله وحبيبه ونجيه، وكان صفيه ورسوله ونبيه فانظر هل أمهله ساعة عند انقضاء مدته وهل أخره لحظة بعد حضور منيته، لا بل أرسل إليه الملائكة الكرام الموكلين بقبض أرواح الأنام فجروا بروحه الذكية الكريمة لينقلوها وعالجوها ليرحلوها عن جسده الطاهر إلى رحمة ورضوان وخيرات

حسان، بل إلى مقعد صدق فى جوار الرحمن فاشتد مع ذلك فى النزع كربه وظهر أنينه وترادف قلقه وارتفع حنينه وتغير لونه وعرق جبينه واضطربت فى الانقباض والانبساط شماله ويمينه حتى بكى لمصرعه من حضره، وانتحب لشدة حاله من شاهد منظره، فهل رأيت منصب النبوة دافعا عنه مقدورا وهل راقب الملك فيه أهلا وعشيرا وهل سامحه إذ كان للحق نصيرا وللخلق بشيرا ونذيرا هيهات بل امتثل ما كان به مأمورا واتبع ما وجده فى اللوح مسطورا، فهذا كان حاله وهو عند الله ذو المقام المحمود والحوض المورود، وهو أول من تنشق عنه الأرض وهو صاحب الشفاعة يوم العرض.

فالعجب أنا لانعتبر به ولسنا على ثقة فيما نلقاه بل نحن أسرى الشهوات وقرناء المعاصى والسيئات، فما بالنا لانتعظ بوفاة محمد سيد المرسلين وإمام المتقين وحبيب رب العالمين لعلنا نظن أننا مخلدون، أو نتوهم أنا مع سوء أفعالنا عند الله مكرمون هيهات هيهات بل نتيقن أنا جميعا على النار إلا المتقون، فنحن للورود مستيقنون وللصدور عنها مترهمون لا بل ظلمنا أنفسنا إن كنا كذلك لغالب الظن فما نحن والله من المتقين وقد قال الله رب العالمين (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا* ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) فلينظر كل عبد إلى نفسه أنه إلى الظالمين أقرب أم إلى المتقين فانظر إلى نفسك بعد أن تنظر إلى سيرة السلف الصالح فلقد كانوا مع ما رفقوا له من الخائفين ثم انظر إلى سيد المرسلين فإنه كان من أمره على يقين إذ كان سيد النبيين وقائد المتقين واعتبر

يف كان قربه عند فرق الدنيا وكيف اشتد أمره عن الانقلاب لى جنة المأوى.

قال ابن مسعود رضى الله عنه (دخلنا على رسول اللهﷺ فى يت أمنا عائشة رضى الله عنها حين دنا الفراق فنظر إلينا دمعت عيناهﷺ ثم قال مرحبا بكم حياكم الله، أواكم الله، نصركم لله، وأوصيكم بتقوى الله واوصى بكم الله إنى لكم منه نذير مبين، ألا تعلوا على الله فى بلاده وعباده وقد دنا الأجل والمنقلب إلى الله وإلى سدرة المنتهى وإلى جنة المأوى وإلى الكأس الأوفى، فأقرءوا على أنفسكم وعلى من دخل فى دينكم بعدى منى السلام ورحمة الله).

وروى أنهﷺ قال لجبريل عليه السلام عند موته (من لأمتى بعدى فأوصى الله تعالى إلى جبريل أن بشر حبيبى أنى لا أخذله فى أمته وبشره بأنه أسرع الناس خروجا من الأرض إذا بعثوا وسيدهم إذا جمعوا وأن الجنة محرمة على الأمم حتى تدخلها أمته فقال الآن قرت عينى.

وقالت عائشة رضى الله عنها (أمرنا رسول اللهﷺ بسبع قرب من سبعة آبار ففعلنا ذلك فوجد راحة فخرج فصلى بالناس واستغفر لأهل أحد ودعا لهم وأوصى بالأنصار فقال أما بعد: يا معشر المهاجرين فإنكم تزيدون وأصبحت الأنصار لاتزيد على هيئتها التى هى عليها اليوم وأن الأنصار عيبتى التى أويت إليها فأكرموا كريمهم يعنى محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم ثم قال أن عبدا خير بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله فبكى

أبو بكر–رضى الله عنه– وظن أنه يريد نفسه فقال النبى ﷺ على رسلك يا أبا بكر سدوا هذه الأبواب الشوارع فى المسجد إلا باب أبى بكر فإنى لا أعلم أمرا أفضل عندى فى الصحبة من أبى بكر.

قالت عائشة رضى الله عنها (فقبض ﷺ فى بيتى وفى يومى وبين سحرى ونحرى ودخل على أخى عبد الرحمن وبيده سواك فجعل ينظر إليه فعرفت أنه يعجبه ذلك فقلت له آخذه لك فأومأ برأسه أى يعجبه ذلك فقلت له آخذه لك فاومأ برأسه أى نعم فناولته إياه فأدخله فى فيه فاشتد عليه فقلت ألينه لك فأومأ برأسه أى نعم فلينته وكان بين يديه ركوة ما فجعل يدخل فيها بيده ويقول لا إله إلا الله إن للموت لسكرات ثم نصب يده يقول الرفيق الاعلى الرفيق الأعلى فقلت إذن والله لا يختارنا).

الرفيـــق الأعلـــى

روى سعيد بن عبد الله عن أبيه قال لمـــا رأت الأنصـــار أن سول اللهﷺ يزداد ثقلا أطافوا بالمسجد، فدخل العباس رضـــى ه عنه على النبىﷺ فأعلمه بمكانهم وإشفاقهم ثم دخـــل عليـــه فضل فأعلمه بمثل ذلك، ثم دخل عليه على رضـــى الله عنـــه علمه بمثله فمد يده وقال ها فتناولوه فقال: ما تقولـــون؟ قـــال: ول نخشى أن تموت وتصايح نساؤهم لاجتماع رجالـــهم إلـــى نبىﷺ فثار رسول اللهﷺ فخرج متوكئا على علـــى والفضـــل العباس أمامه ورسول اللهﷺ معصوب الرأس يخـــط برجليـــه حتى جلس على أسفل مرقاة من المنبر وثاب الناس إليه، فحمـــد لله وأثنى عليه وقال (أيها الناس إنه بلغنى أنكم تخـــافون علـــى لموت كأنه استنكار منكم للموت وما تنكرون من الموت بينكـــم لم أنع إليكم وتنع إليكم أنفسكم؟ هل خلد نبى قبلى فيمـــن بعـــث بأخلد فيكم ألا إنى لاحق بربى وأنكم لاحقون به، وإنى أوصيكـــم بالمهاجرين الأولين خيرا وأوصى المهاجرين فيما بينـــهم، فـــإن الله عز وجل قال (والعصر* إن الإنسان لفي خسر* إلا الذيـــن آمنـــوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصـــوا بـــالصبر) وأن الأمـــور تجرى بإذن الله فلا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله فـــإن الله عزوجل لا يعجل لعجلة أحد. ومن غالب الله غلبه، ومن خـــادع

الله خدعه، فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم) وأوصيكم بالأنصار خيرا فإنهم الذين تبوأو الدار والإيمان من قبلكم أن تحسنوا إليهم، ألم يشاطروكم الثمار ألم يوسعوا عليكم فى الديار؟ ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم الخصاصة؟ ألا فمن ولى أن يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم، ولا تستأثروا عليهم ألا وإنى فرط لكم وأنتم لاحقون بى ألا وإن موعدكم الحوض حوضى أعرض مما بين بصرى الشام وصنعاء اليمن يصب فيه ميزاب الكوثر ماء أشد بياضا من اللبن وألين من الزبد وأحلى من الشهد، من شرب منه لم يظمأ أبدا، حصباؤه اللؤلؤ وبطحاؤه المسك من حرمه فى الموقف غدا حرم الخير كله ألا فمن أحب أن يرده على غدا فليكفف لسانه ويده إلا مما ينبغى فقال العباس: يا نبى الله أوصى بقريش فقال إنما أوصى بهذا الأمر قريشا والناس تبع لقريش برهم لبرهم وفاجرهم لفاجرهم فاستوصوا آل قريش بالناس خيرا يا أيها الناس إن الذنوب تغير النعم وتبدل القسم فإذا بر الناس برهم أئمتهم وإذا فجر الناس عقدهم قال الله تعالى (وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون).

وعندما أحس الرسول ﷺ بأن حدة الحمى خفت عن بدنه استدعى الفضل ابن عمه العباس فقال: خذ بيدى يا فضل وهو موعدك معصوب الرأس، قال الفضل فأخذت بيده حتى دخل المسجد وجلس على المنبر ثم قال: ناد فى الناس. فاجتمعوا إليه.. وكانت ظهيرة تظلها الكآبة وتغمرها الرقة اشرأبت فيها

أعناق إلى الرجل الذى احيا أموات القلوب وأخرجهم وذرياتهم نساؤهم من الظلمات إلى النور).

إنه تحرى العدالة فى شئونه كلها لكن من يدرى؟

ربما عرض له سهو مما يعرض لبنى آدم أو خطـــأ فجـــار هو الذى يبرأ منه الجور وذويه.

إذن ليخطب الناس فى هذا حتى يستريح ضميره قـــال: أمـــا بعد أيها الناس فإنى أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو.

فمن كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهرى فليستقد منـــه أو مـــن كنت شتمت له عرضا فهذا عرض فليستقد منه!

ألا وإن الشحناء ليست من طبعى ولا مـــن شـــأنى ألا وإن أحبكم إلى من أخذ منى حقا إن كان له أو أحلنى منه فلقيـــت الله وأنا طيب النفس وقد أرى أن هذا غير مغن عنى حتـــى أقـــوم إليكم مرارا. قال الفضل: ثم نزل فصلى الظهر ثم رجع فجلـــس على المنبر. فعاد لمقالته الأولى فى الشحناء وغيرها.

فقام رجل فقال يا رسول الله إن لى عنـــدك ثلاثـــة دراهـــم! فقال: اعطه يا فضل.

ثم قال النبىﷺ أيها الناس من كان عنده شـــىء فليـــؤده ولا يقل: فضوح الدنيا.. ألا وإن فضوح الدنيا أيســـر مـــن فضـــوح الآخرة.

فقام رجل فقال: يا رسول الله عندى ثلاثة دراهم غللتها فـــى سبيل الله.

قال: ولم غللتها؟ قال كنت إليها محتاجا قال: خذها منه يـ فضل.

ثم قال أيها الناس من خشى من نفسه شيئا فليقم أدع له فقـ رجل فقال: يا رسول الله إنى لكذاب إنى لفاحش إنى لنؤوم فقـا النبىﷺ اللهم ارزقه صدقا، وإيمانا وأذهب عنه النـوم ثـم قـ رجل آخر فقال: والله يا رسول الله إنى كذاب وإنى لمنافق ومـ من شىء إلا قد حنيته فقام عمر ابن الخطاب فقال له فضحـد نفسك فقال النبىﷺ يا ابن الخطاب فضوح الدنيـا أهـون مـ فضوح الآخرة اللهم ارزقه صدقا وإيمانا وصير أمره إلى خير.

إن هذا البيان الذى أدلى مبعوث العناية الإلهيـة فـى تلـ الساعات العصيبة إنما أراد به أن يثبت لقـادة الأمـم وزعمـا الشعوب أن القيادة قدوة فإذا ما فقدت هذا الجانب مـن الأسـو الحسنة اضطربت، وهل هناك قدوة وقيادة أطهر يـدا وأنظـف ثوبا من قيادة شمس الهداية الربانية إنـه الأمـى الـذى علـ المتعلمين والفقير الذى بعث الأمل فى قلوب اليائسين، واليتيـ الذى قاد سفينة العالم الحائرة فـى خضـم المحيـط ومعـترك الأمواج إلى شاطىء الله رب العالمين.

(لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضـلال مبين).

صلت عليك ملائك الرحمن

وسرى الضياء بسائر الأكوان

لما طلعت على الوجود مزودا

بهدى الإله ورايـة القـرآن

لقد صدق من سماك الرؤوف الرحيـم. عـن أبـى سـعيد الخدرى أن رسول اللهﷺ جلس يوما على المنبر فقال إن عبـدا خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنـد الله فاختار ماعند الله فبكى أبو بكر ثم قال فديناك بآبائنا وأمهاتنا يـا رسول الله قال أبو سعيد فتعجبنا له وقال الناس: أنظـروا إلـى الشيخ يخير رسول الله عن عبد يخير ويقـول فديناك بآبائنا وأمهاتنا قال فكان رسول الله هو المخير وكان أبو بكـر أعلمنـا به..

فقال رسول الله إن آمن الناس على فى صحبته ومالـه أبـو بكر ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكـن أخـوة الإسلام وفى رواية ولكن صحبة وإخاء وإيمـان حتىيجمـع الله بيننا عنده.

صلى عليك الله يا علم الهدى ما هبت النسائم ومـا نـاحت على الأيك الحمائم أسأل الله أن يحشرنا فـى زمرتـك وتحـت لوائك وأن يسقينا بيدك الشريفة شربة ماء لا نظمأ بعدها أبدا.

الفهـــــرس

مقدمة ٥
يا ذاهبين إلى بيت الله الحرام ٦
لبيك اللهم لبيك ١٢
هدى الصادق المعصوم فى الأسفار ١٩
من هنا إلى هناك ٢٤
أقوال الفقهاء فى فريضة الحج ٣٠
سارعوا بالحج ٣٥
فضل النفقة فى الحج ٤٠
يوم عرفة ٤٤
يوم الحج الأكبر ٤٦
يوم مشهود ٤٨
لحظات بعيدة الأثر ٤٩
الأضحية ٥١
النحر بعد صلاة العيد ٥٢
حجة الوداع ٥٩
الروضة الشريفة ٦٨
الرفيق الأعلى ٧٣

حينما بدأنا نشر هذه السلسلة من كتب فضيلة الشيخ كشك غفلنا عن ذكر تسلسل حياته .. لأنه غنى عن التعريف .. ولكن استجابة لرسائل القراء التى تصلنا من مختلف أنحاء العالم الاسلامى والتى تطالبنا بمعرفة حياة الداعية الكبير نقدم لهم حياة المؤلف فى سطور:

- عبد الحميد عبد العزيز كشك
- من مواليد بلدة شبراخيت محافظة البحيرة عام ١٩٣٣
- التحق بجمعية تحفيظ القرآن الكريم ، حيث أتم حفظه للقرآن وهو فى الثانية عشرة من عمره.
- التحق بالقسم الابتدائى بمعهد الأسكندرية الدينى.
- وبعد حصوله على الشهادة الابتدائية ، أنعم الله عليه بفقد البصر ، فواصل الطريق فى طلب العلم بجد ومثابرة ، بعد ما قضى حولين من عمره يطلب العلاج، ولكنه حمد الله على قدره ، فان الله يعوض عن نور البصر ذكاء البصيرة.
- التحق بمعهد القاهرة الثانوى ، وكان الأول على فرقته دائما، وحصل على مجموع ١٠٠ ٪ عندما انتقل من الثالثة الى الرابعة فى القسم الثانوى، وفى الشهادة الثانوية حصل على مجموع ٩٨,٥٪.
- التحق بكلية أصول الدين، حيث حصل على الشهادة العالمية ، وكان ترتيبه الأول، ومثل الأزهر الشريف فى عيد العلم عام ١٩٦١.
- حصل على شهادة العالمية مع تخصص التدريس العالى.
- عمل إماما وخطيبا بمساجد وزارة الأوقاف .
- وعمل امام وخطيب مسجد عين الحياة بشارع مصر والسودان بالقاهرة منذ عام ١٩٦٤ وحتى عام ١٩٨١.
- له مؤلفات عديدة أشهرها تفسير القرآن الكريم "فى رحاب التفسير " ويقع فى ٨٢٦٠ صفحة والذى إجتهد فى إعداده ١٥ سنة واكتمل فى عام ١٩٩٦.
- توفى إلى رحمة الله تعالى فى عام ١٩٩٦.

رقـــــم الايـــــــداع ٣٧٠٨ / ١٩٨٤

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977-136-025-6

مطابع الكتب المصرى الحديث
MODERN EGYPTIAN PRESS
ت ٤٤٤١٠٧٠ — ٤٤٤١٠٧٤ — فاكس ٤٤٤١٠٧٧